www.awu.sy

الأسبوع الأدبي

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

العدد «1340» 2013/4/13 م - 3جمادى الآخرة1434هـ
السنة السابعة والعشرون

٢٤ صفحة - السعر: ١٥ ل.س

لوحة للفنان التشكيلي سرور علواني

قضيتنا بين التخطيط والارتجال

العرب والعروبة في مواجهة مشاريع التصفية الراهنة!!

التراث ويوم المسرح العالمي

مراجعة البلاغة أيُّ حالٍ في مقتضى الحال..؟!!

عتّقي الصّبح

عصافير

من وحي الشآم

وقت المغرب من نيسان

ما بين دجلة والفرات

أين وطن العرب؟

حياة الحويك عطية

عندما يذهب واحدنا إلى إحدى الجامعات الأجنبية، الغربية أو الشرقية، فإنه يخضع لامتحان دقيق في اللغة، وإذا لم تكن لغته بالمستوى المطلوب، فيخضع إلزامياً لمساق لغة لا يتم تسجيله في الجامعة إلا بعد أن يعبره بنجاح.

وبمراجعة بسيطة لمستويات طلابنا الجامعيين في قدرات اللغة العربية، نجد أنها تقل عن تمكنهم باللغة الأجنبية ـ بل عن أي تمكن بأية لغة حتى لو كانت لغة الإشارات. فاجعة اللغة العربية هذه لا يجوز تركها بلا محاسبة وبلا علاج. خاصة عندما نجد أن بعض هؤلاء الجهلة بلغتهم ـ بذنبهم أو بغير ذنبهم ـ يتخرجون من الكليات وأحياناً من الماجستير، حاملين معهم وباءهم اللغوي إلى فضاءات مجالاتهم العملية التي قد يكون منها مجالان خطيران: الإعلام والتعليم. ويكفينا أن نراقب ساعتين على وسائل الإعلام المرئية المسموعة لنكتشف أية مجزرة تحل باللغة العربية، وتهز عظام سيبويه في قبره. أما في التعليم، فالمشكلة أنه قطاع يعمل خلف الستار، بحيث تتشكل منجزاته أو إخفاقاته على نحوٍ تراكمي طويل، لا تكتشف نتائجه إلا بعد أن تكون الواقعة قد وقعت ومرحلة التأثير قد انتهت. ففي الجامعة نكتشف جريمة التعليم الابتدائي والإعدادي والثانوي بحق اللغة، وفي مجالات العمل نكتشف جريمة الجامعات التي استمرت في الإهمال والتخريب.

علينا أن نتوقف عن الضحك على أنفسنا وعن الكلام عن مستويات التعليم عندنا، لأن الكم لا يعني شيئاً إذا لم يقترن بالكيف، ولأنه لا كيف في أي علم من غير الكيف في اللغة. اللغة ليست فقط أداة الإنشاء والعلوم الإنسانية؛ بل إن خطورة دقتها تصبح أكبر في العلوم التطبيقية؛ حيث يمكن لتغيير حرف أو حركة أن يغير معادلة كاملة ويخرب نظرية كاملة.

لكن اللغة هي قبل كل شيء جسد الفكرة، فإن لم يكن هناك فكر منهجي وحقيقي، فلن تكون اللغة إلا جثة تعيث فيها حشرات الأرض وتشوهها في كل تفاصيلها، وقواعد اللغة هي علم المنطق، معادلات منطقية (خاصة اللغة العربية)، فإذا لم يتعلم الطالب منطقها هذا فلن يكون حفظه لها في المدرسة إلا كانزلاق الماء على زجاج مصقول. واللغة روح ثقافةٍ وحضارة، فإن لم يعرف الطالب ثقافة أمته وحضارتها ويحبها، فإنه سيكره رائحة لغته المنبثقة من جثتها. واللغة هي نسق فكري يميز ثقافة عن أخرى، فإذا تأرج الطالب كسائل هلامي بين أنساق لا يعرف عنها ومنها شيئاً وانقطعت جذوره عن نسقه، فستجف أوراق شجرة اللغة وأغصانها عنده، وسيبني كما الخلايا السرطانية خلايا فوضوية لأنساق لا نسق لها.

مطلوب وبإلحاح شديد التصدي لعملية إصلاحية كبرى تطال المنهاج التربوي لتعليم اللغة العربية، ومساق تقوية لغوية يشكل النجاح فيه شرطاً أساسياً لقبول من يفرزهم الامتحان المسبق.

وطني هو اللغة الفرنسية، قال نابليون يوماً. فأين هو وطن العرب؟

ألم يمت الرقيب العربي بعد..؟

رحيم هادي الشمخي

انتهى زمن قل كلمتك وامش، فإن قلتها اليوم، لا يسمح لك بالمشي. الإعلام العربي، في معظمه شيطان أخرس، ينطق لغة خشبية تملأ حطب الزمان العربي اليابس، أما الإعلام الغربي، النظيف، الموضوعي، الحر، الديمقراطي، فهو يكذب دائماً، ولا يعفيه ذكاؤه من أن يدان بالكذب، فإن كنت ترغب أن تكون مواطناً سليم العقل فعليك أن تبدأ من المسلمة التالية: الإعلام الغربي يكذب، حتى لو بدا صادقاً؛ بل حتى لو كان صادقاً. يبدو أن هذا الكذب قد بات مفضوحاً لعدد من مثقفي الغرب والعرب، الذين انكبوا على فضح وسائل الإعلام الغربية وإشهار افلاسها الأخلاقي، بعدما باتت أرصدتها الحالية متخمة بالاستثمارات العملاقة.

لقد كشف عدد من ملاحقي كذب الإعلام الغربي، أن التلفزيونات، أكثر وسائل الإعلام نفاقاً؛ فهي قامت بتعمية حرب الولايات المتحدة الأمريكية بدل تغطيتها، حرباً نظيفة اليدين، أما المؤامرة الكبرى على سورية العربية فقد نستها وسائل الإعلام الغربية والأمريكية, فلم يذكر ما حل بشعبها من قتلٍ وتشريد وتدمير لمؤسسات الدولة من قبل عملائها، وكذا الحال ما حل بدولة ليبيا من حرقٍ لليابس والأخضر؛ أما حرب واشنطن على باناما، فاستعملت فيها جميع أنواع الأسلحة؛ وذهب ضحيتها في أيام آلاف الفقراء على ذلك الرصيف الحيوي، ومع ذلك فإن الكاميرا كانت ممنوعة من نقل أي مشهد لمن تبقى على قيد الحياة، ما قيل عن مجازر في عهد تشاوشيسكو في المقبرة الجماعية الشهيرة «تيمشوارا» تلك التي وجدت فيها الكاميرات أكثر من ستين ألف جثة هي تلفيق ومونتاج، وبعض الجثث يعود إلى الحرب العالمية الثانية.

نفاق من الحجم الثقيل، أما حرب أفغانستان فكان أنموذجاً من أنموذجات التعمية الإعلامية، فلم نشاهد ما فعلته القنابل الذكية والقنابل الدسمة ذات الأطنان الثقيلة، ولا شاهدنا أنفاقاً. كل ما في الشاشة كان يظهر وجوهاً ذات سحنة موحشة قبل انتصار الأمريكان، ثم بدأت تظهر وجوه أفغانية ذات سحنة أوروبية، ذاك هو الأفغاني البشع، وهذا هو الأفغاني الجميل؛ فماذا يبقى لنا في الإعلام حتى نصدقه؟ هل نصدق ما تقوله وكالات الأنباء عن أن زيت الزيتون مفيد «للكوليسترول»، ثم نقرأ العكس بأن زيت دوار الشمس مفيد أما الزيتون فشرٌ من لدن الأشجار فاجتنبوه؟! من هي الدول التي تصنع هذا الزيت للترويج له على أنه مفيد؟، حتى هذه المادة الإعلامية متسخة بالكذب والنفاق، والسبب أن الإعلام لم يعد يبحث عن الحقيقة ولا عن المعلومة الصحيحة؛ بل يسأل دائماً عن وظيفتها في سوق الاستهلاك، خصوصاً بعدما تحولت صناعة الإعلام في العالم الغربي المتقدم، إلى بضاعة يجب تصديرها إلى الأسواق العالمية عبر «الأوتوسترادات» الفضائية والشاشات المحلية.

عجيبٌ أن الإعلام العربي في معظمه، مازال من العصر الحجري، وإذا أراد أن يقلد، فيضع الغرب أنموذجه... ويصبح حبل الكذب أطول من خط الاستواء، والأكثر تعجباً أن هذا الكذب يفيض علينا بلا رقابة؛ ويدخل بيوتنا بلا استئذان، ويغسل أدمغتنا بمعلومات مطيبة بمساحيق الإقناع التي تجيدها الصور «الممنتجة» والملفقة، ترى: ألم يمت الرقيب العربي بعد؟ ألم يعرف أن مقصه الذي جزّ أقلامنا وأعناقنا بات من خشب، وأن وحدها الكتب العربية والمجلات العربية والصحف العربية تخضع بعينيه المصابتين بالعمى؟ من يقنع وسائل الإعلام العربية، أن عليها أن تصنع حقيقتها، وتجرؤ على تقصي معلوماتها، وتنافس أي إعلام آخر بالصدق والمهنية؟ ألا تكتفي باحتلالها أقنية فضائية تفضحنا وتكبدنا أكثر مما يفعله الإعلام الغربي بنا.

بمناسبة يوم الأرض
متى تزهر أشجار البرتقال والليمون في فلسطين

عبد الكريم أبازيد

قال لي وقد غمر وجهه البشر: أنا أول جرحى يوم الأرض، لم أحصل على شرف الشهادة الذي حصل عليه بعض رفاقي، بيد أني فخور أن ساقي اليمنى قد بترت، لا تظن أني حزين ولا أعدّ ذلك كارثة. إني أرى أنني قد دفعت قسطاً ضئيلاً في سبيل بلادي. المهم أنني أستطيع أن أمشي برجل واحدة على أرض الوطن. ولكن ما فائدة الأرجل إذا لم تكن هناك أرض محررة تسير عليها؟؟ قال أحمد جملته الأخيرة وكأنه يخاطب نفسه.

كان ذلك ربيعَ عام 1977 عندما كنت أرقد في أحد مستشفيات موسكو. لكن كيف تعرفت إلى أحمد هذا؟ كان ذلك عن طريق المصادفة، حينما طلبت إليّ إحدى الممرضات أن أصحبها إلى غرفة مجاورة. سألتها ما الأمر؟ فقالت الآن ستعرف. دخلت الغرفة، فوجدت شاباً في مقتبل العمر يرقد على سرير وقد بترت رجله.

قالت لي الممرضة إنه فلسطيني أصيب برجله في أثناء مظاهرات 30 آذار الماضي في فلسطين، وأريد منك أن تترجم لي قصته، حيث إنه لا يعرف اللغة الروسية. لم أتمالك نفسي، فهجمت عليه أقبله وأعانقه، وهو يرقد على سريره، وكم كان سروره عظيماً عندما علم أني عربي.

أحمد هذا لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره، أسمر اللون، وديع النظرات مليح القسمات، يقبع والده في أحد سجون الأرض المحتلة منذ أكثر من خمس سنوات بتهمة القيام بـ «أعمال إرهابية».

قلت لأحمد مازحاً: هذه الممرضة أحبتك, فابتسم وقال: إني أعدّ حبها بمنزلة حب لبلادي وتعاطف مع قضيتي. قال أحمد موجهاً كلامه إلى الممرضة: تريدين صورة عن أحداث يوم الأرض التي أدت إلى بتر رجلي؟ حسن! أنا هنا أرقد في إحدى مستشفيات موسكو، بينما رجلي لا تزال هناك على أرض بلادي (قطعوا رجله في أحد مستشفيات فلسطين قبل أن يحضر إلى موسكو)، ولن تستطيع قوة أن تخرجها، فقد تحللت وأصبحت جزءاً من تراب فلسطين. هل تريدين تفاصيل أكثر؟ لا- أجابت الممرضة – لقد أخذت صورة كاملة وكافية عن أحداث يوم الأرض. ثم انحنت على أحمد تقبله، وقد اغرورقت عيناها بالدموع.

عدت إلى موسكو عام 1984 وزرت صديقي مسؤول الطلاب الفلسطينيين في جامعة موسكو، وكان من غريب الصدف أن أجد عنده أحمد، هذا الصديق القديم، وقد ركبت له رجل اصطناعية. طلبت منه أن يسير فمشى، وكأن رجله طبيعية. سألته ما أخبارك؟ فقال أنا الآن مهندس زراعي. فقد تخرجت هذا العام من أحد معاهد موسكو.

هل تعرفون موضوع رسالته لنيل شهادة الماجستير؟ إليكم هو: «كيف يمكن تطوير زراعة الحمضيات على الساحل الفلسطيني؟»

وقد جاء في الإهداء ما يلي:

«إلى ذلك التراب المقدس الذي ينبت الرجال والأزهار والكروم.. أشجار البرتقال والليمون تروى بالماء فتزهر، إلا في بلادي فلسطين؛ فهي تنمو وتزهر عندما تروى بالدم، وتسمد بأشلاء الرجال...».

قضيتنا بين التخطيط والارتجال

يوسف جاد الحق

على مدى قرن من الزمن أو يزيد، خطط الصهاينة ورسموا، دبروا وتآمروا، ثم حددوا أهدافهم، ثم عملوا دائبين من غير كلل، مستخدمين سائر الوسائل (غير المشروعة) المفضية إلى تحقيق تلك الأهداف لكي تصبح أمراً واقعاً، ألا وهي سرقة وطننا، وإقامة كيان لهم فوق أرضه، وبحره وسمائه يحظى بالاعتراف؛ بل الحماية والرعاية أيضاً، من قبل هيئات دولية وقوى استعمارية هي نفسها شريكة (كاملة) لهم في عدائها لأمتنا عبر التاريخ.

مقابل ذلك اختلف العرب، تخبطوا وتشرذموا، استهتروا وتهاونوا، تخاصموا وتنازعوا، ثم ارتجلوا المواقف وردود الأفعال الآنية السطحية العاطفية، دونما تخطيط استراتيجي أو حتى تكتيكي، بين قائل بوحدة الهدف وقائل بوحدة الصف، قائل بالتصالح مع العدو ومسالمته ـ لو تكرم العدو وحظوا بقبوله ورضاه ـ وبين مقاوم ومقاتل، بين حريص على العمالة وحريص على الشهادة، فكان من ثم، فشلهم ذريعاً مريعاً، ولم يحصدوا من جراء ذلك كله غير النتائج المؤسية التي هم عليها الآن.

كانت تصرفاتنا، على الدوام، مجرد ردود أفعال متسرعة إزاء كل حدث على حدة، لا رابط بينها وبين جوهر الصراع وأس القضية، وحتى هذه الردود لم تكن لتجمع على أمر أو شيء. كانت مشتتة مختلفة ومتفرقة في الرؤية والفعل، وفق كل طرف أو بلد أو نظام في حساباته الداخلية التي كثيراً ما أعلن أن بلده (أولاً)..!

وكان جل ذلك يصب تلقائياً في مصلحة الكيان الصهيوني واليهودية العالمية، عن جهل حيناً، وعن عمد وضلوع فيما يجري حيناً آخر.

من ثم لبث السؤال نفسه قائماً، ملحاً دائماً، محيراً ومدهشاً على الذهن لأي متابع، أو غيور، أو مهتم:

كيف استطاعت اليهودية العالمية بلوغ هذا النجاح الباهر في تحقيق أطماعها في وطننا على مشهد ومسمع من العالم كله..؟

والغريب العجيب أن يجري هذا في القرن العشرين، وأن يستمر في الحادي والعشرين، العصر الذي يدعي الغرب أنه، من جهة، عصر الحضارة والعلم والوعي، والشرعية الدولية وحريات الشعوب وتقرير مصائرها، ومن جهة أخرى، عصر انفتاح أصقاع العالم بعضها على بعض، بفضل وسائل التواصل الاجتماعي والسياسي والإعلامي، حتى بات العالم وكأنه بلد واحد أو (قرية واحدة) كما يقولون، بحيث لا تخفى على أحد فيه خافية.

ولكن هذا الغرب نفسه بدوله ومحافله ونواديه و(لوبياته) هو نفسه العدو التقليدي لأمتنا ـ عربية وإسلامية ـ يعمل على إخفاء عدائيته، متظاهراً بالموضوعية والحيدة إمعاناً في الخديعة والنفاق والتضليل. والمثير للدهشة أن حيله وألاعيبه المكشوفة تلك تنطلي على بعضهم، وتدخل في روعهم أنه حكم عادل، وأخلاقي مثالي، فيتقبلون من ثم رؤاه و(يبصمون) دونما تدقيق أو تمحيص على توجهاته وممارساته إزاءهم من جهة، وحيال العدو من جهة ثانية.

بقليل من التفصيل وكثير من الإيجاز يمكننا القول إن الكيان الصهيوني قام على ركيزتين أساسيتين منذ قرر وضع مخططه قيد التنفيذ، في مؤتمر (بال) بزعامة (ثيودور هرتسل) عام 1897، واعتماد كتابه (الدولة اليهودية) الذي يتنبأ فيه بقيام دولة يهودية بعد خمسين سنة من تاريخه، وهو ما تحقق فعلاً عام 1948، بفضل أمريكا واستخدام نفوذها الضاغط المستبد على معظم أعضاء هيئة الأمم المتحدة الوليدة حديثاً، لاسيما وأن رئيس أمريكا يومئذ (هاري ترومان) المنتمي إلى الصهيونية أكثر من أهلها. وجدير بالذكر أن ترومان هذا هو أول رجل في التاريخ يأمر بإبادة مئات ألوف من البشر، من دون أن يرف له جفن، بضربتي قنبلتين ذريتين في هيروشيما ونجازاكي اليابانيتين في التاسع من آب عام 1945. فلا يستغربن أحد إذن ظلمه لشعب فلسطين وعدوانه عليه ممالأة ومعاضدة لتنظيمات اليهودية العالمية ولية نعمته في وصوله إلى سدة الرئاسة الأمريكية، خلفاً لسلفه (ثيودور روزفلت). ثم تلا ذلك مقرراتهم المسماة (بروتوكولات حكماء صهيون) التي طبقت وما برحت تطبق حتى يومنا هذا في المجالات والأمكنة والمجتمعات التي استهدفتها.

هاتان الركيزتان هما:

1 ـ التخطيط المحكم المدروس لكل خطوة تخطوها في سيرها نحو هدفها بعيد المدى.

وهذا ليس إطراء؛ فاللص، حتى اللص العادي لا يقدم على جريمة السرقة من دون إعداد محكم ومسبق كيما يتسنى له الوصول إلى مبتغاه دونما خطأ يوقعه في يد العدالة.

2 ـ استغلال الظروف والأحداث والوقائع القائمة راهناً، والقادمة في المستقبل على مستوى المنطقة والعالم، والتدخل في الأوساط المؤثرة في مجريات الأحداث والقوى الفاعلة فيها. فأما عن التخطيط فقد أشرنا إليه بما قد يفي بالحاجة، وأما عن استغلال الوقائع والأحداث فتقول، وبأكبر قدر ممكن من الإيجاز تسمح به هذه العجالة، أن اليهودية العالمية استغلت وقائع ثلاثة مفصلية ومصيرية على قدر هائل من الخطورة والخطر؛ هي:

1 ـ استطاعت الإفادة من نتائج الحرب الكونية الأولى، فتمكنت من التأثير في انكلترا والحصول على وعد من وزير خارجيتها (آرثر بلفور) بإقامة (وطن قومي يهودي) في فلسطين، وإثر وضعها تحت الانتداب البريطاني بضلوع من (عصبة الأمم) يومئذ، عملت على تنفيذ ذلك الوعد بحذافيره. ولكي تضمن ذلك نصَّبت (مندوباً سامياً) يهودياً هو (هربرت صموئيل) لكي يطبق بنود ذلك الوعد، ومنها الهجرة اليهودية إلى فلسطين بأعداد هائلة، في وقت لم يزد عددهم فيها يومئذ عن خمسين ألف يهودي، إضافة إلى إقامة مستعمرات لهم على أراض صادرتها الدولة المنتدبة مدعية أنها (أملاك دولة)..!

2 ـ استغل اليهود نتائج الحرب العالمية الثانية

البقية.................ص22

الافتتاحية

حسين جمعة

الجامعة العربية والدور المقلوب

أنشئت الجامعة العربية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وقبل خروج الإنكليز من مصر عام (1945م) بوصفها جامعة دول لا تتدخل في الشؤون الداخلية لأي دولة؛ كما ورد في المادة الثامنة من ميثاقها التي تنص على أن «تحترم كل دولة من الدول المشتركة في الجامعة نظام الحكم القائم في دول الجامعة الأخرى، وتعتبره من حقوق تلك الدول، وتتعهد بألا تقوم بعمل يرمي إلى تغيير ذلك النظام فيها»...ومن ثم فقد أنيط بجامعة الدول العربية مهمة تنسيق الجهود بين الدول كلها لتحقيق التضامن فيما بينها على مختلف الصعد؛ ثم أنشأت الجامعة مكاتب مختصة لكل غرض من الأغراض، ووضعت لها لوائح تنظيمية خاصة مثل (مجلس الدفاع العربي المشترك) و(المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ أليكسو) و(مكتب التعريب) التابع لها ـ و(مكتب المقاطعة العربية).

أما المادة الثامنة عشرة من الميثاق فهي تنص على الآتي:

«إذا رأت إحدى دول الجامعة أن تنسحب منها أبلغت المجلس عزمها على الانسحاب قبل تنفيذه بسنة، ولمجلس الجامعة أن يعتبر أي دولة لا تقوم بواجبات هذا الميثاق منفصلة عن الجامعة، وذلك بقرار يصدره بإجماع الدول عدا الدولة المشار إليها».

وإذا كان الميثاق قد خلا من أي تنظيم إجرائي يتعلق بالمرحلة التالية لتجميد العضوية فإننا نرى أن ما يتعلق بسورية وتعليق عضويتها في (2011/11/13م) ابتداء وتنفيذه بتاريخ (2011/11/16م) يدهش العقل والفؤاد معاً؛ إذ طالب القرار النظام السوري بتنفيذ قرارات إيقاف إطلاق النار والتنازل عن الحكم لصالح المعارضة.

فهذا القرار ليس قانونياً لأنه يخالف المادتين السابقتين، ولم يصدر بالإجماع وفق المادة الثامنة عشرة؛ إذ اعترضت عليه لبنان واليمن، وامتنعت العراق؛ والدول الثلاث من الدول المؤسسة للجامعة.

ثم صاحب قرار تعليق العضوية ومنع وفد سورية من حضور جلسات الجامعة العربية عقوبات سياسية واقتصادية فُرضت على سورية وشعبها وقيادتها؛ فضلاً عن إنهاء الجامعة مهمة بعثة الفريق (محمد الدابي) وعدم الأخذ بتوصياتها التي جاءت في تقريره. وبهذا ضربت عَرْض الحائط كل جهود البعثة، فتطابقت مع أهواء أمينها العام (نبيل العربي) المنقاد لوزير خارجية إمارة الغاز (قطر العظمى) (حمد بن جاسم آل ثاني). ومن هنا شدّدت الجامعة على تنفيذ العقوبات الاقتصادية والتجارية بحق سورية وشعبها، وأوعزت إلى الدول بإيقاف جميع أشكال التعاون الدبلوماسي مع ما أسمته ممثلي النظام...

فبدل أن تقوم الجامعة العربية بعملية مصالحة بين الأطراف المختلفة، وتقريب وجهات نظرها أخذت تشنُّ حرباً شاملة على سورية؛ مبتدئة بإذكاء شهوة الحقد والكراهية؛ ولا سيما حين عقدت عزمها على تحطيم السيكولوجية العربية الموحّدة لأطياف النسيج السوري... ومضت بالحرب إلى أبعد مَدىً مدعومة بالسعودية وبعض الدول الأخرى فانتقلت إلى مجلس الأمن لشرعنة التدخل الأجنبي في سورية، وإقامة حظر جوي؛ ومنطقة عازلة ولكن الفيتو المزدوج /الروسي ـ الصيني كان بالمرصاد، فردّ هذا العدوان على أعقابه، فميثاق الأمم المتحدة لا يسمح بالاعتداء على سيادة الدول والتدخل في شؤونها الخاصة...

وهذا يعني أن الجامعة العربية مارست في عملها خلال سنتين من عمر الأزمة السورية (2011 ـ 2012م) دوراً مقلوباً بقيادة السيد الدكتور نبيل العربي وهو ما ليس له نظير من قبل، ثم تجلّى انحيازها الأعمى لصالح بعض أطراف المعارضة المتطرفة والمحسوبة على تيار الإخوان، حين دعت هذا الطرف إلى حضور مؤتمر القمة العربية في الدوحة يوم الثلاثاء (2013/3/26م). فالجامعة العربية المنقادة لإمارة قطر العظمى ارتكبت جريمة لا سابقة لها في تاريخ المنظمات الإقليمية والدولية حين منحت مقعد سورية لطرف المعارضة

البقية.................ص22

العرب والعروبة في مواجهة مشاريع التصفية الراهنة!!

عبد الوهاب زيتون

العروبة هي حقيقة تاريخية ثابتة في جذور التاريخ الإنساني، وهي قديمة قِدَم التاريخ نفسه. الوجود العربي في الأرض العربية سابقٌ لأي وجود آخر مزعوم. وهذا الشعور بالانتماء العربي، وبالشخصيةالعربية، وبالذات العربية، وتمايزها عن الغير، هو الذي يُوَلِّدُ ويُحَرِّضُ لدى العربي سلوكية نهج الثورة، والمقاومة عندما تتعرَّضُ الأمَّة العربية إلى الإقصاء أو الإلغاء من قبل الغير، مع قيام هذا الغير الأجنبي بفرض هيمنته وإرادته علينا.

لقد ميَّزَ النسَّابون بين العرب (العاربة)، وهم عربُ الجنوب، ومنهم يَعْرُبُ بن قحطان من عرب اليمن، والعربُ (المستعربة) وهم عَرَبُ الشمال، ومنهم قبائلُ مُضَر، وربيعة من فروع نزار بن مَعَدِّ بن عدنان ابن إسماعيل ابن إبراهيم الخليل، جد عرب الشمال، وإليهم نسب النبي الكريم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عليه الصلاة والسلام.

وقد تمازج عرب الشمال، مع عرب الجنوب منذ فجر التاريخ، فكان العرب في الجاهلية يرددون: [هذا حيٌّ من أحياء العرب.. هذا مَضْرِبٌ من مضارب العرب]، ونحوها.. وورد لفظ كلمة «عرب» صريحاً في «العهد القديم ـ التوراة» في مواضع كثيرة، منها «سِفْرُ نحميا» حيث نقرأ فيه: (في الإصحاح السادس) [سَنْبَطُ العربي، جَشَمُ العربي، طِيبا العربي]، ونحو ذلك كثير..

وهذا الاعتراف «التوراتي» هو إقرارٌ دامغٌ بأنَّ الوجود العربي في فلسطين خاصةً، سابقٌ بكثير لوجود «الصهاينة اليهود» المزعوم؛ لُصوصِ الحضارة، والجغرافيا، والدِّين، والتاريخ.

لقد ألحق الإمبراطور اليوناني «تراجان» بلاد الشام بعد معارك ضارية مع العرب الأنباط عام 106م للميلاد، تحت سيطرته، وسمَّاها هكذا:«الولاية العربية».

وقد عُرِفَ الإمبراطور «فيليب»، وهو من مدينة شهبا في جبل العرب في الشام، الذي حكم (روما) عام 244 للميلاد، عُرِفَ في اللاتينية هكذا:

«فيليبو ـ أرابو ـ أي فيليب العربي».

العروبة سابقة للإسلام، وقد تجذَّرت، وترسخت مع الإسلام، وحفظ القرآن الكريم للعرب عروبتهم، حيث لا تصحُّ شعائر الإسلام كافة إلا باللغة العربية حصراً.. وبنى العرب مع فجر الإسلام أول مشروع سياسي، ودولة مؤسساتٍ متقدمة امتدت من المحيط إلى الخليج، وكانت ذات توجه أممي إنساني، وقد أطلقوا على مشروعهم هذا لفظ «دار السلام»، وهذا اللفظ مأخوذ بتمامه من سورة يونس، الآية 25 في القرآن الكريم بقوله تعالى:

«والله يدعو إلى دار السلام، ويهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم».

لقد واجهت العروبة أخطر التحديات مع سيطرة غير العرب، على العرب، كما بفعل هُبوط العرب من محراب العروبة السمحاء الواسعة إلى العصبيات، العشائرية، والولاءات المذهبية الضيِّقة..

وهكذا هو حال العرب، وأعداء العرب اليوم.. في ممارستهم، وتوظيفهم من قديمهم، إلى حديثهم...

لقد تبلور الفكر القومي العربي في العصر الحديث، في مواجهة حملة التتريك لجمعية الاتحاد والترقي عام 1908 للميلاد، كما في مواجهة الاستعمار الأوروبي بعدها، الذي صنع عبر اتفاقيات «سايكس ـ بيكو»عام 1916م، حدوداً وهمية، وهُوياتٍ قطرية ضيقة، بديلة عن الهُوية العربية الجامعة في الوطن الواحد.

لقد بلغ المدُّ العربي الذروة مع أول مشروع قومي وحدوي بين مصر وسورية عام 1958م للرئيس الراحل جمال عبد الناصر، وترافق ذلك مع سقوط حلف بغداد، وتحرير الجزائر، وسائر المغرب العربي من الاستعمار.. وَوَضَعَتْ حرب تشرين المجيدة عام 1973م المشروع الصهيوني أمام الانكسار والانحسار، وجعلت مجمل الوجود الصهيوني قاب قوسين أو أدنى من اللاوجود... ومع اتفاقيات كامب ديفيد عام 1978م، ثم اتفاقية «السلام» المشينة عام 1979م بين مصر، والكيان الصهيوني، وملحقاتها... إلى حروب الخليج الكارثية، وقد توالد بعضها من بعض، وأدَّت إلى احتلال العراق وعاصمته بغداد ربيع عام 2003م.. وبذلك توالت الهزَّات، والشروخات، والنكسات في الوطن العربي، وبلغت الذروة إثر تفاقم «الحالة العراقية»، التي فَرَّخَتْ الكثير، الكثير من الهزَّات والأزمات، المُتَشَظِّية على امتداد الساحة العربية.. لقد أصبح شعار [الحرب على الإرهاب] هو العنوان الأبرز لاحتلال العروبة، والأرض العربية، والإنسان العربي معاً.. مع تغليف المشاريع (التصفوية) للمشروع القومي العربي كافة تحت مظلَّة (الديمقراطية، وحقوق المرأة، والإصلاحات الاقتصادية، والتعليمية، وحماية الأقليَّات.. ونحو ذلك كثير)... في مشاريع يتوالد بعضها من بعض (من الشرق أوسطية.. إلى مبادرة جورج W بوش السيِّئ الصيت في الشرق أوسط الكبير).

على أن مشروع «الشرق أوسط الكبير» الأمريكي الصهيوني، بامتياز، هو مشروع «كومونولث» جديد لمحميات [أمريكية نفطية] في الوطن العربي، فاقدة للسيادة، والكرامة الوطنية، تخضع بالكليَّة للإرادة الامبريالية الأجنبية، وتعمل بالبرمجة (بالحواسيب) العملاقة من وراء المحيطات، لحساب دورة رأس المال الامبريالي الصهيوني.

.وهذه الفوضى الهدامة التي بشروا بها في الشرق أوسط الكبير، وسمَّوها خلاَّقة، والتي أغرقوا بها الوطن العربي، هي بعضٌ من ذلك..

وأكثر من فلسطين، وأكثر من دارفور في السودان، يُحَضَّرُ جهاراً، لأكثر من بلدٍ عربي، تحت يافطة؛ وعلى طبلة «الربيع العربي».. فهل نحن يقظون لكل ما يتمُّ تسويقُه إلينا، من مشاريع تصفوية مغلَّفة بالإصلاحات الموعودة، ونتسابق إليها، كما تتسابق الفراشات إلى ضوء المصباح، لنهلك عنده جميعاً؟؟!

هل هذه مصادفة اليوم، أكثر من أي يومٍ في إغراق المتلقيِّ العربي في الخطاب الإعلامي المذهبي، الطائفي، التناحري، الاثني والعشائري؟!

هل هذه مصادفة في إثارتنا بعضنا على البعض صَباحَ مساء، كمذاهب، وديانات، وأعراق، وأقليّات.. بل حتى (عائلات، وعشائر).. بل أحياء سكنية من (الغالبية كذا، وكذا..) مما أصبح مألوفاً، وممجوجاً سَمَاعُهُ من أجهزة الإعلام كافة، الناطقة بالعربية، وبعضُها، حمل جلباب (العربية) وقاحةً، وجهاراً من دون خجل لحساب جميع أعداء العرب، والعروبة والإسلام معاً؟؟!

هل هذه مصادفة الإعلان الرسمي لحكومات عربية في الجزائر، والمغرب... وغداً في ليبيا وغيرها بأنَّ اللهجة البربرية (الأمازيغية، والأمازيغ) قد أصبحت لغة رسمية في البلاد، وتكتب بالحرف (اللاتيني) حصراً.. وأصبح لها جامعات خاصة بها؟؟! في مواجهة ما ذكرت أعلاه، وما لم أذكر، ينبغي على المثقف العربي؛ على الغيورين على العرب، والعروبة، واللسان العربي المبين في القرآن الكريم، التسوّر في محراب العروبة، والتسلُّح بالعلم والمعرفة والإدراك، مع تثبيت الوحدة الوطنية في كل بلدٍ عربي، وعلى امتداد الوطن العربي الكبير.. خارج الولاءات، والانتماءات المذهبية والعشائرية، وقد أصبحت كابوساً مقيتاً علينا، أخطر بكثير من جميع أسلحتهم القذرة النووية والجرثومية.. وينبغي علينا في هذا الزمن الصعب المحافظة على سلامة الرؤيا، وسلامة التراكيب اللغوية، والألفاظ والمصطلحات، وأن نقرأ، ونسمِّي الأشياء بمسميَّاتها الحقيقية، وليس كما تُقرأ علينا بعدساتٍ لاصقة أمريكية صهيونية، وقديماً قالوا: الحكيمُ من اتعظ بغيره!

وفي وقتٍ تتحالف فيه قوى الشرِّ والإرهاب على العرب، ويتمازج فيه المشروع الصهيوني التوراتي، مع المشروع الامبريالي الأمريكي في مشروع واحد لا يتجزَّأ.. أليس من بابٍ أولى أن يتحد العربُ ويتحالفوا مع أنفسِهم من أجل حاضرهم ومستقبلهم؟

وإذا كنا نعيش في عصر العولمة؛ حيث نشهد سقوط الحدود، الإقليمية بين القوى العملاقة مثل دول الاتحاد الأوروبي، أليس من بابٍ أولى أن تسقط الحدود الوضعية الضيِّقة التي صنعتها اتفاقيات سايكس ـ بيكو بين العرب أنفسهم؟!

بينما الواقع العربي المتردِّي يشهد قيام حواجز، وانقسامات جديدة، ولا نشهد سقوط الحدود العربية، أو فتحها سوى أمام جحافل جيوش الاحتلال الأجنبية الغازية متعدِّدة الجنسيات، أو سلعة وبضاعة، وثقافة تلك القوى الغازية التي تعبر الحدود العربية من دون استئذان!

إن العروبة هي حقيقة تاريخية وجغرافية ثابتة، ولسنا في حاجة إلى استنباطها أو صناعتها من جديد؛ بل في حاجة إلى تثبيتها، وأن نعيشها واقعاً حياً لبناء معادلنا السياسي في [وحدة أو اتحاد] أو أي مشروع عربي تكاملي يشكل البديل عن الواقع الراهن، ويكون نابعاً من داخل المحيط العربي، وليس مستورداً من الخارج، أو مسبق الصنع في [المطبخ الأمريكي] أو بالمقاسات الأمريكية.

لقد فرضت الصين نفسها على العالم بكل اقتدار من مبدأ التمسك بـ [الصين واحدة]، وهي تعمل بجهدٍ دؤوبٍ لاستعادة وحدتها على كامل أراضيها بما فيها (تايوان) سلماً، أم حرباً، وبشكل علني لا هوادة فيه.. أليس من بابٍ أولى أن يتمسك العرب بمشروعهم الثقافي والسياسي والقومي من مبدأ (العرب أمةٌ واحدة)، ولهم الحق أن يعيشوا في دولة واحدة، وليس لأحدٍ أن ينكر عليهم ذلك... وأنَّه لا بديل عن المشروع القومي العربي، في مواجهة التحديات كافة، والمشاريع أعلاه، ما كان منها، وما سيكون.. ويبقى الرهان على الإنسان العربي المثقَّف المقاوم.

بين المخاض وبناء النّظريّة النّضاليّة

طاهر سعيد عجيب

المخاض، يعني: وجع الولادة، وقد مخضت الحامل مخاضاً؛ أي ضربها الطّلق، فهي ماخض.. ومجازاً، فإنَّ الولادةَ، قد تنسحب على كلّ تفاعلٍ بين عُنصرينِ أو أكثر، من شأنها إحداثُ خَلْقٍ جديدٍ، له سماته الخاصّة.. وهذا ما يحدث في عالمِ الفيزياء والكيمياء والرّياضيّات.. وفي الفكر والاقتصاد وعلم الاجتماع.. حيث تتزاوج الأفكار في رؤوس أصحابها، لتنشأ النّظريّات العقائديّة.. إذن، هناك علاقة سببية بين الحامل والمحمول، فالحامل هو المنظِّر، والمحمول هو المذهب، أو العقيدة الّتي توصّلَ إليها، ولكي يأخذ المولود صفته على أرض الواقع، فلا بُدَّ من وجود الشّخصيّة الاعتباريّة الّتي تؤطِّرهُ، وهذا ما يُسمَّى الحزب.. وحزب البعث العربي الاشتراكي، جاء في السّياق ذاته..

لقد مرَّ مخاض هذا الحزب عبر مسارٍ عسيرٍ طويلٍ، كانت نقطة البداية فيهِ، هي أواسط ثلاثينيّاتِ القرن الماضي، عندما حاول رُوَّادُ عصبة العمل القومي - في لواء الإسكندرون - زرع بذور فكرة القوميّة العربيّة في الذّهنِ العربيِّ، ردّاً على محاولةِ سلخِ اللواءِ، والقوميّةِ التُّركيّةِ، ما لبثت أن انتقلت الأفكار المخضّبة بدماء الشّهداءِ، المُكلَّلةِ برداء اللواء السّليبِ، إلى دمشقَ متجسّدةً في تنظيم سياسيٍّ سريٍّ، دُعيَ: بالبعث العربيّ، المولود في بداية عام 1940، هذا العام الّذي شهدَ فيه ولادة حركة نضاليّة اتخذت لها اسماً - حركة الإحياء العربيّ -.. وبذلك، فقد عاصرت السّاحة السّوريّة، حركتانِ تقدُّميَّتانِ، التقيتا على مبادئ وأهداف واحدة، أدّى بهما النّضالُ، إلى وحدة الصّفِ، عبر تشكيل حزبٍ جديدٍ أكثر شمولاً، في تمّوز 1943، تحت اسم - البعث العربيّ - الّذي أُعلِنَ عنه رسميّاً، في المؤتمر التأسيسي الأوّل، في 7 نيسان 1947.. وقد جاء هذا المؤتمر خاتمة لفترتين أساسيّتين من تاريخ الحزب. الأولى: هي فترة البدايات (1940 - 1943) التي بدأ فيها الحزب ينشر أفكاره حول بعثِ الأمّةِ العربيّةِ، ووحدتها وحرّيتها ورسالتها. والثّانية: هي فترة النّشوء والتّأسيسِ (1943 - 1947) الّذي انطلق فيها الحزب مع مطلع عهد الاستقلال في سورية، يدعو إلى تحرّرِ الأقطارِ العربيّةِ، ووحدةِ نضالها ضدَّ الاستعمار والصّهيونيّة.. وظلَّ يناضلُ تحتَ هذا الاسم، إلى بدايات خمسينياتِ القرن الماضي.. حينئذ انضمَّ إليهِ حزبٌ آخرَ، هو الاشتراكيّ العربيّ.. الّذي اتّخذَ من - حماة - قاعدة لنضاله.. ليصير لهما مُسَمّىً جديداً وهو «حزب البعث العربي الاشتراكي»..

يُعدّ الوضوح النّظري سبيل أي عمل ثوري، سواء من الناحية الفكرية، أم التنظيمية، أم العمليّة.. ويشكّل المؤتمر القومي السادس الذي انعقد في «5-23 تشرين الأول من عام 1963».. نقطة تحوّل، ومنعطف تاريخي في حياة الحزب.. خاصّة أنّه جاء بعد أحداث هامّة في تاريخ العرب الحديث.. بدءاً بتجربة الوحدة بين سورية ومصر عام 1958، وتجربة الانفصال في 28 أيلول 1961، والوصول إلى السلطة من خلال ثورة 8 شباط في العراق، و8 آذار في القطر السوري عام 1963؛ حيث استطاع الحزب من خلال هذا المؤتمر، أن يستجيب للمهام التي طرحتها عليه حركة الجماهير النضاليّة، وتجربة الحياة الواقعيّة التي مرَّ بها.. وذلك من خلال التقرير العقائدي الذي أقرَّهُ المؤتمر تحت عنوان: «بعض المنطلقات النّظرية وأهميَّتها في حياة الحزب»..

وفيها، يتمُّ تحديد الأسس الثوريّة التي تتميّز بها إيديولوجيّة الحزب، وهما العلميّة والثوريّة..

فمن حيث العلميّة: وجدها منطلقاً لمعرفة القوانين الموضوعيّة للواقع.. والتسلّح بهذه المعرفة في أشكال النّضال المختلفة للتغيير الثوري المطلوب، وهذا يعني أنَّ الواقع مُتحَرِّكٌ، والعلميّة تتعقَّبهُ..

أمّا الثوريّة: فقد قدَّمها على أنّها: إحداث تبديل جذري في المجتمع، ونقله من حالة نوعيّة معيّنة، إلى حالة نوعيّة معيّنة أخرى..

بعد هاتين السِمَتَيْن، انتقلت المنطلقات لتوضيح معاني الوحدة، الحريّة، الاشتراكيّة..

ففي الوحدة: بعد أن أخذ بعين الاعتبار وحدة «1958»، فقد توضَّحت طبيعة الصراع سواء على صعيد الوطن العربي، أو على الصعيد العالمي، وكذلك موقع حركة الثورة العربيّة.. فتأكّد للحزب، أنَّ الجماهير الشّعبيّة، هي المدافع الأمين عن قضيّة الوحدة والأهداف والمصالح القوميّة والاجتماعيّة، وأنَّ القوى البرجوازيّة والرّجعيّة المُستَغِلَّة، هي عدوّة للوحدة.. ولهذا نظرَ إلى الوحدة من خلال المضمون التقدّمي لحركة القوميّة العربيّة، بوصفها حركة تحرّرية معادية للاستعمار والصهيونيّة والامبريالية والرجعيّة..

وحول الحريّة ومفهوم الديمقراطية الشعبيّة.. فقد أوضحت المنطلقات معنى الحريّة السياسيّ، بقولها « إنّها تعني التحرر الكامل السياسي والاقتصادي من شتّى أشكال السيطرة الاستعماريّة».. وربطتها بالمصالح الاجتماعيّة الطبقيّة للجماهير الكادحة.. أي بالعدل الاجتماعي.. وأنّ الديمقراطية الشعبيّة، هي المجال الذي تمارس فيه الجماهير الشعبيّة حريتها.. خلافاً للديمقراطيّة بمفهومها البرجوازي، التي تعني سيطرة رأس المال وتحكّمه والاستغلال..

أمّا من حيث النظرة إلى الاشتراكيّة.. فقد آثر الحزب اعتماد تسميتها بملامح الطريق العربي إلى الاشتراكيّة، وعدَّ الاشتراكيّة نظريّة علميّة تصح بمنطلقاتها وقوانينها العامّة على مختلف المجتمعات، وهي تختلف من بلد إلى آخر، وانطلاقاً من ذلك، أكّدَ الحزب على اعتبار أنَّ القضيّة القوميّة في ظروفِ وطننا العربي المُجزّأ المتخلّف، الّذي يعاني الاستغلال والنّهبِ الاستعماريّ، لا بُدَّ أنْ تُحَل على أساس اشتراكي، وِفقَ منظورٍ اجتماعيٍّ، طبقي.. مع اعتماد النّهج العلمي في المعرفة والتطبيق..

أتوقّفُ عندَ هذا القدر من سياقِ الحديث عن مخاض الحزب ونظريّتِهِ العقائديّة، لأجدَ نفسي مدفوعاً للقول:

لم تكن الغاية من هذا التّقديم، هي التعريف بهويّة حزب البعث العربي الاشتراكي؛ فهو غنيٌّ عن التعريف، إنّما لأدخلَ منها في بعضٍ من الجدليّة التي فرضها واقع الحال العربيّ والسوري، على الحزب نفسه، كتنظيم عقائدي قوميّ؛ له تجربته النّضاليّة سواء من خلال قيادته المباشرة للدولة السوريّة، أو من خلال مفاعيله على الساحة العربيّة، في ظلِّ أحزابٍ وقوى، ومنظّمات، ونُظُمَ، حفل بها وطننا العربيّ الكبير.. لأقول مرّةً أخرى:

لقد شهد الحزب حركتي تصحيح، أولاهما: في 23 شباط من عام 1966 - والثّانية،في 16 تشرين الثاني من عام 1970.. وإذا كان المخاض الأوّل قد أنجبَ الحزب، فإنَّ المخاض الثاني، قد خلّصَ الحزب من العقلية اليمينية المتسلّطة، وذلك بما أقرّهُ المؤتمر القومي التاسع في أيلول 1966.. مع التذكير «أنَّ المؤتمر القومي العاشر المنعقد في أيلول 1968 قد شكّلَ لجنة خاصّة، سُمّيت / لجنة القضية الكردية / وقد أوصى المؤتمر، بإحالة الدراسة المقدّمة عن القضيّة إلى القيادة القوميّة لإكمالها»..

والتصحيح الثاني وهو المخاض الثالث، وضع حدّاً لتسلّط العقليّات القياديّة المتعالية، المناورة، من جديد، وهذا ما أقرّهُ المؤتمر القومي الحادي عشر للحزب، في آب 1971..

هنا، قد يقول البعض، تلكم كانت تجربتكم النّضاليّة، فكفاكم الله شرَّ القتالِ؛ فالساحةُ، حافلةٌ الآنَ بالأحزابِ، التي منها القديم والجديد والمستحدث، المستجدّ.. يجمعها صوتٌ واحدٌ: «أنا سأشيل الزّير من البير» كما يُقال.. وهنا، أيضاً، من جاء ليدلي بدلوهِ، فيقول: طالما أنَّنا أمام نظام ديمقراطي، حرّ، فصندوق الانتخاب هو الفيصل.. وهذا رأي فيه من التّحدّي، بقدر ما يُبْطِن من نوايا إقصائيّة..

وبين هذا، وذاك، ثمّة من أفقدتهُ عصبيّتهُ، نعمة التّفريق بين الأصل والفرع، مثَلَهُ بذلك، كمنْ يأخذ الأب بجرائر ابنه، أو كالأرض الخصبة، يهجرها أصحابها، وفي الوقت نفسه، يكفرون بها، عندما لا تقدم لهم غلالاً طيّبةً..

إنَّ هؤلاء الّذينَ تفتَّقَتْ عنهم أرضيّة الأزمة، وجاؤوا الآنَ يُشنِّعونَ على الحزب، لم يكونوا أحسن حالاً من الّذينَ يبحثونَ في حواراتهم عن أسباب الأزمة، تاركين النّارَ تسري في الجسد؛ بل هم على السّواء، يشاطرون من أفسدَ في الحزب والدّولة..

إنَّ النّظرة الموضوعيّة، تُلزِم المرْء أنْ يأخذَ الأمور بكلّيتها، بشموليّتها.. وعندما يتسنّى له ذلك، يجد نفسه أمام تساؤلات مشروعة:

- ما هي حقيقة مواقف الأحزاب والمنظّمات والنُّظُمْ التي كانت سائدة قبل الأزمة، وإبّانها، ما هي الخدمات التي قدّمتها لقضايا العرب ؟؟.. وهذا لا يعني نسفاً لمجهودات البعض منها..

- ما هو دور الأحزاب والهيئات التي كانت تتحَيَّنُ الفرص لاستلام السلّطة، وقد واتتها الآن؟! هل هي مُمَثِّلة حقيقيّة لتطلُّعاتِ الجماهير العربيّة في صراعها مع التخلّف والتّجزئة والتّبعيّة والاستعمار، وبالتالي، ما هي حدود استقلال قرارها السّياسي؟؟

- من هو المستفيد النّهائي مِمّا يجري على أرض العرب؟؟

- لماذا تُشَنُّ هذه الحرب الكونيّة على سوريّة، ولماذا بقيت صامدة، وهي الآن على أبواب نصرٍ أكيد؟؟..

- لماذا ضاق أفُقُ البعض وتقوقعَ داخل قُطريّتهِ، بعد أن كان بحدود الوطن؟؟.. بل جاءَ من يدعو للشعوبيّة..

وعندما يكون المرء على هذا المستوى من خلفيّة الفهم، يكون بمقدورهِ الإجابة من تلقاء نفسهِ، ليصل إلى نتيجة حتميّة، وهي أنَّ صمود الدّولة السّوريّة، وبالتالي محاسبتها، إنّما جاء من موقفها العقائدي، المتسلّح بحقيقة القوميّة العربيّة، وبرسالة أمّتها الخالدة، المتمسّكة بالقضايا المبدئيّة، وهي السيادة والاستقلال وانتزاع الحقوق.. هذه العقيدة، التي أرسى قواعدها «حزب البعث العربي الاشتراكي» في الوجدان العربي.. وجعل من سورية: الشّعب، الدّولة وجيشها العربي العقائدي، محطّ آمال العرب وكعبتهم الثّانية.. وإذا جازَ لنا أنْ نشدّ على العضد، فليس من الحقِّ بشيء أن نبتر الأصابع..

لم تكن الغاية من كتابة المقالة التسويغ، أو توجيه اللوم، أو الثّناء والإطراء لهذا الجانب، والذّم والقدح، لذلك.. إنّما هي محاولة جادّة للدخول في جدليّة الواقع السياسي الذي تشهده المنطقة من منظور البعثي المُلتزِم، مع من تأطّرَ ويتأطّر الآنَ داخل هيئات وأحزاب، وكل مواطن آخر له حقُّ الانتماء إلى الوطن.. هذه الجدليّة جعلتني أقول مرّة أخرى:

إنَّ حزب البعث العربي الاشتراكي، بات الآن أمام مخاضٍ رابعٍ هو الأهم بعد التأسيس، وهو الأحدُّ صوتاً، والأبلغ وجَعاً، والأشدُّ ألماً، والأعظم نتيجةً، والأبعد مؤامرةً عليهِ وعلى العروبة والوطن معاً.. والأمانة يجب أن يحملها رجالٌ مؤتمنون، وإذا كانت بطاقة الانتساب إليه شكّلت لدى البعض ورقة مرور، فإنّها الآن بطاقةُ شرفٍ لا يحمِلُها إلّا الشّرفاء.. ولذلك فإنَّ الحزبَ مُطالب أكثر من أي وقت مضى، بتفعيل المبدأ الثالث من المبادئ التي يقوم عليها البناء التنظيمي، وهو:

«ممارسة النقد والنقد الذّاتي» بغيريّة الإنسان الملتزم بشرفه وقَسَمِهِ وإخلاصه لحزبه ووطنه.. وبغير ذلك، فإنّ عملية المخاض، سوف تتجلّى عن مولود قاصر عن الحياة.. فما نفع البكاء على الأطلال بعد الموت؟؟..

سؤال أعادني بالذاكرة إلى ما سبق أن قاله أحد المؤسسين، بعد انفضاض المؤتمر التأسيسي الأول، وهو يخاطب جمهرة من شباب البعث:

« أيّها اليافعون، يا بُناة المستقبل.. لَئِنْ قلّصتُمْ أحلامكم وطموحاتكم، لئِنْ حدَّدتُم جِهودكم وعطاءاتكم، لئِنْ قبلتم الصّغار، فلسوف تصغرون ويصغر معكم وطنكم وشعبكم، ولئِنْ وضعتم أمام أعينكم الأهداف السّامية، لَئِنْ كافحتم بدون حدّ، وأعطيتم بدون حساب، لئِنْ صمّمتم على أن تكونوا كباراً فلسوفَ تكبرون، ويكبر معكم وطنكم وأمّتكم»..

«.. دستور السابع من نيسان (1947) هو ملكُ الشعب العربي، وإنجاز الجيل الثوري المثقّف، الذي يتبنّى أهداف الشّعب الحقيقية والمتكاملة، وهو نقلة نوعيّة في تاريخ الكفاح العربي»..

التراث ويوم المسرح العالمي

عبد الفتاح قلعه جي

في عصر شائك من العلاقات، كثير التبدلات وعميقها، خطر المواجهات، يشهد انقلابات، وتقلبات فكرية وسياسية واجتماعية، ومتغيرات جوهرية في المفاهيم عامة، والمواقف الثقافية خاصة. وانزياحات سريعة عن الثوابت الأساسية للمكونات الشخصية. وبالتالي هو عصر يقوم على تبديل المفاهيم، والخلفيات المرجعية على مختلف الأصعدة، فلم تعد التصفيات العرقية في هذا العصر إلا إحدى الممارسات البدائية الفجة للتصفيات الحضارية، بجوانبها المتنوعة الخطيرة على الجوانب التاريخية، والفكرية، والثقافية، والفنية؛ فعصرنا الذي تبحث فيه الشعوب عن تأكيد وجودها، وعن حماية هذا الوجود وتمايزه تحت مظلة الولادة الجديدة لعالم القرن الحادي والعشرين. عالم الأخوة والسلام المرتقب، فقدت في هذا العصر كثير من الشعوب - بسبب المتغيرات العنيفة - دروعها المستعارة الواقية، وغدا لا مهرب لها من أن تلجأ إلى ذواتها، وإلى المقدرات الكامنة فيها لحماية ذواتها في معركة وجودها الحضارية. فلم تعد الأسلحة المعاصرة تقليدية فحسب، وإنما تنوعت فنون الاستلاب بأسلحة معنوية مرّة، وأيديولوجية تلفيقية مرّة ثانية، تنطلق من الدعائية الإعلامية، لتؤثر في الرأي العام، وتفرض حصاراً ثقافياً على شعب، واقتصادياً على آخر، وتجويعاً غذائياً لشعب ثالث، غرضها من كل ذلك تركيع تلك الشعوب، ومحاربتها في تراثها، وتاريخها، وثقافتها، وفنونها وحضارتها. تسعى قوى الاستلاب في غالب أغراضها لكي تجعل هذه الشعوب مضطرة بعد فترة؛ إما للتماهي في الآخر «الذي هو مصدر هذه الحرب، وتلك الأسلحة». أو لتهيئ جيلاً من أبنائها يقبل بأي حلّ مفبرّك له، مما يؤدي إلى امحاء شخصيتها التاريخية، ووجودها الحضاري. وإيماناً منا بمكانة المسرح الهامة في لوحة الحضارة الإنسانية، وبدور التراث في حمل جوهر الوجود الحضاري لأمتنا العربية، وبقدرته على الاستمرار في الحاضر والمستقبل، وبأن التفاعل ما بين مسرحنا وتراثنا، يعني الاسهام بأفضل وسيلة اتصال ثقافية في صياغة مشروعنا الحضاري، وحماية ثوابت أمتنا ومكوناتنا الجوهرية، وشخصيتها التاريخية. وفي ظل ما تتعرض له أمتنا من هجوم شرس على أصعدة مختلفة، ومنها الصعيد الثقافي، بأسماء مختلفة، تتخطى حدود المثاقفة.

ومن أجل انبثاق آفاق مستقبلية جديدة في المسرح، وفتح نوافذ الحاضر على الماضي، والماضي على الحاضر، في بناء عمارة لمستقبل عربي منشود تأخذ موقعها المشرّف بين العمائر الإنسانية. تتصل معاً ولا تنقطع. تتفاعل ولا تتقوقع. إيماناً منا بكل ذلك أصبح التمسك بهويتنا الإنسانية والثقافية وثوابتها أصبح ضرورة ملحة، وبهذا يصبح التراث ركيزة أساسية في ثوابتنا الإنسانية والوطنية، وتحقيق ذلك يكون بما يلي:

1 - السعي إلى تحقيق هوية عربية للمسرح.

2 - الوصول إلى المحيط العالمي، والتعريف بالمسرح العربي.

3 - تحريك الساكن من التراث باللون المسرحي.

4 - إحياء اللازم من ظواهر، وتسجيلها. وإن في تراثنا إمكانات كبيرة للمسرحة، وقيم، وموضوعات سامية يمكن أن تساهم في تكوين الإنسان العربي الجديد.

4 - تسجيل بيانات بالممارسة الفعلية لإحياء التراث ونقله مسرحياً، وبحثياً للأجيال القادمة.

* * *

إن التنوع في تراث شعوبنا الممتدة على صدر قارتي آسيا، وأفريقيا. وإن تأثر هذا التراث بتراث الأمم المجاورة وثقافاتها، وإن الغنى، والتعددية في القيم الفكرية والاجتماعية لهذا التراث، لا بد أن يقابله تنوّع في الأشكال المسرحية، وإغناء وتعددية في القيم والأفكار التي تطرحها تلك الأشكال. وبذلك يصبح المسرح وسيلة من وسائل الحوار الثقافي والفكري والفني.

ولمعرفة الـذات، معرفة حقيقية، والحفاظ عليها من التماهي، لا بد من تمثّل التأريخ القديم، والمعاصر والالتصاق بالشعب في جميع الأقاليم، والأقطار : البادية، والريف، والمدينة، ولا بد أن نضع في الاعتبار أن الشعب كائن تأريخي.

إن نظرتنا إلى التراث ليست متحفية، ولا سلفية، فهذه رؤية منقطعة. إن رؤيتنا للتراث هي رؤية اتصال وصيرورة، وحضور الماضي في الحاضر، وإن مجرد نقل الظاهرة إلى مجال المسرح يعني أنها ما تزال حية، وإن حضورها في المسرح بعد سلسلة من عمليات الإعداد الفكري، والفني تعني التأكيد على صيرورتها، وإعادة خلقها من جديد. وبذلك تنتقل الظاهرة من الماوراء الزمني محتفلة بنبضها الحيوي، إلى الأمام المعرفي، وبأشكال فنية معاصرة مستلهمة من وعينا الجمالي، وذوقنا. وهذا واحد من أهم سبل الاستلهام.

إن هذه الدعوة، بقدر ما تحمل من قيم قومية، تحمل قيماً إنسانية. إنها ليست عصبية قوموية. ولكنها تنحو إلى القدر الذي يشعر به الإنسان باستقلاله، ووجوده. وفي عين الوقت يحترم استقلال الآخرين ووجودهم وثقافتهم. إن تحقيق شرط الإنسانية لا يكون في امحاء الوجود الذاتي، والقومي، والتماهي في الآخر.

ليست الغاية تزيين الأشكال المسرحية الغربية بموروثات شعبية أو ترفيهية، وإنما الغاية هي تأصيل مسرح عربي تتجدد فيه شخصيتنا، وهويتنا، وفكرنا، وفلسفتنا، ونظرتنا إلى الحياة، وقيمنا الجمالية، والفنية التي يتصل ماضيها بحاضرها في حركة عبور سليمة نحو مستقبل نبنيه بأنفسنا، ضمن الأطر الكبرى لحضارتنا التي نحرص على استمرارها في عالم يتشكّل اليوم من جديد. عالم تصل فيه حرابه إلى جيناتنا الثقافية، لتبدّل إنساننا العربي الذي ظلّ محافظاً على قيمه، بإنسان آخر لا ينتمي إلينا، رغم أنه يرتدي أزياءنا، ويتكلم لغتنا، لكنه سيكون الخادم أو التابع. أو الإنسان الآلي الذي تسيّره أنظمة عالمية مسيطرة تحرص على نزع هويته، وتأريخه كي يكون مؤهلاً للبرمجة التي تريد. إن الوقوف بوجه ذلك في مجال المسرح يقتضي منا ارتياد تراثنا، والكشف عنه، والتمسك به في مختلف أنواعه: الأدبي، والعلمي، والشعبي، والفني، والتاريخي. وحضور هذا التراث جوهراً في الإبداعات المعاصرة التي ترتاد حقول الواقع، وتستشرف آماد المستقبل. وهذا يعني أن عملنا يبدأ من النص المسرحي، ويتشكّل على خشبة المسرح، ثم ينتهي بالجمهور المسرحي.

إننا لا نقف ضد المعاصرة أو «الحداثة»، لكننا ندعو إلى المعاصرة الموضوعية، والعلمية، معاصرة المتصل لا المنقطع. معاصرة تحتفظ بثوابت حضارتنا. وهذه الثوابت هي الطاقة المولّدة، والحافظة لكينونتنا. والمعاصرة هذه مرتبطة بالحرية الفكرية، والفنية، والتجريب في المسرح المنطلق من رموز تراثنا وواقعنا وحريتنا المطلقة في التعبير. وإن في تراثنا وواقعنا إمكانات لتشكيلات مسرحية إبداعية، فنية، وفكرية عصرية لا حدود لها، ولا بد أن نضع في الاعتبار أن علينا أن نساهم في خلق تراث يعتز به من يأتي بعدنا.

إن أي تخاطب مع الآخر، لا بد أن يعتمد على اللغة. هذه اللغة نصيّة، لفظية كانت أم فنية، أم كلتيهما هي نتاج تجارب، وخبرات موغلة في القدم، ومستمرة في الحاضر. وبهذا المعنى فإن التراث لغة، وإن المسرح في الخارطة الجغرافية للفنون، هو أرقى الوسائل الفنية، والثقافية، وأكثرها جماهيرية في حمل هذا التراث، وتقديمه بلغته البصرية والشاملة.

وفي مجال المسرح؛ حيث النوافذ مفتوحة على جميع الاتجاهات، والتجارب المسرحية في العالم، ستكون لنا نافذتنا الأوسع، والمنفتحة على تراثنا، وحاضرنا، وغدنا، نافذة يكون فيها الرائي، والمرئي، هو «إنساننا» الذي تمتد جذوره في الزمن آلاف السنين.

كلمة... في يوم المسرح العالمي...

مشهور خيزران

... أيها المسرحيون الطيبون في أرجاءِ المعمورة: كل عام وأنتم بألف خيرٍ في عيدكم المسرحيّ العالمي..

أحبَّتي، أيها المسرحيون المبدعون أينما كنتم، ومن أيّ بقاع الأرض أنتم، إليكم أُحمِّلُ متن الريح عبقاً من ياسمين بلادي، وكم وددتُ لو أن الزنبق النديّ لم يحزَّ عنقه سيف الإرهاب، ليخلعوا عنه وشاح البياضِ، ليلبسوه إلى مصرعه كفناً أسود.. لكنت على ابتسامته الصباحيَّة بعثتُ إليكم بطاقة معايدتي..

أصدقائي المسرحيين، كي لا يخلع المسرح رداءه الأزليّ بكونه مُتّفرجاً عليه، ويلبسُ رداء المُتفرج على ما يـدور على الأرض من قتلٍ وتدمير بأسلحة البطش الإمبريالي الصهيوني بأيدي أشباه البشر من قتلة مجرمين، من نصرةٍ وقاعدةٍ ومن داروا أو قبعوا في ظلامِ عقولهم وأقبية انحرافاتهم.. نعم أيها الزملاء الأعزاء، من جرحي ومن صيحة دمي أكتبُ إليكم، إلى خشبات مسارحكم وطني يحترق... وطن الأبجدية الكونية الأولى، وطن «ونوس» و«الماغوط» و«مينه» وكلّ كلّ سادة الشعر والأدب، لقد زحف إليه الخفافيش، ليذبحوا فيه الإبداع والجمال.. فهل تقفُ يا سيد الفنون، يا سيدي، أيها المسرح الكونيّ على الحياد..؟ زملائي.. تعرفونني أنا المسرحيّ السوريّ «الونوسيّ»، نعم أعرف أنكم قرأتم «ونوس» أوغاريتنا، وأعرف أن قائلاً سيقول لكم إن كياني امتلأ بالحقد، وأفعمت روحي بالبغضاءِ على غير عادتي، مخالفاً وبالقسرِ سوريّتي وثقافتي، لأتأبط مقاومتي وسيلةً لأدرأ المخاطر عن وطني كمسرحيٍّ وكإنسان.. وطني كما تعلمون، الذي كانت تلفُهُ أوشمة الحياة والأمل، كيف استحال على يد البغي إلى ساحاتِ موت وأوكارٍ للذئاب والجرذان المُستأجرة من كلّ الجنسيات...

نعم، أنا المسرحيّ العذب الرقيق الحاشية، أبت سوريّتي إلاَّ أن أذود عنها وعن مسرحي، أو ليس هما مسوّغتي وجـودي وبقائي..؟ تعرفون السوريين أيها المسرحيون، كيف ماتت في حناياهم منذ الأزل كلّ الطقوس التي من شأنها تأثيم الآخرين وتكفيرهم، فالشرذمة المسلّحة المارقة التي تشاهدون الآن، فالسوريّة وإسلام عظيمنا محمد والله منهما براء، وإليكم أيها المسرحيون والمسرحيات بأربع حيطان هذا الكون ما تقوله أغنيتُنا كمسرحيين سوريين وفنانيين، ولتكن معزوفة على نياط قلوبنا، إنها بطاقة لعيدكم:

للفنِ للسلامِ.. للأرضِ للأنامِ.. للشعوب الحرّةِ.. نغني للوئامِ.. وننشُدُ السلامَ

باللحنِ بالأوتارِ.. للصبحِ للأزهارِ.. نطيرُ بالأمصارِ.. رفاً من الحمامِ.. وننشدُ السلامَ

نُعطّرُ الآلامَ.. بالوردِ بالخزامى.. نزرعُ الآكـامَ.. غرسة الإلهام.. وننشدُ السلامَ

نعانقُ الأقلام.. نعزفُ الأنغامَ.. عشقاً هُياما.. لخفقةِ الغرامِ.. وننشدُ السلامَ

بالوجع بالجوعِ.. نذوبُ كالشموعِ.. نضيءُ كالسطوعِ.. في عتمةِ الأيامِ.. وننشُدُ السلامَ

نصادقُ الشعوبَ.. ونلعنُ الحروبَ.. لا نعرفُ الهروبَ.. في ساحةِ الخصامِ.. وننشدُ السلامَ

نفدي بالدماءِ.. وطن الإبـاءِ.. للقمّةِ الشمّاءِ.. سوريّة الشآمِ.. وننشدُ السلامَ

حول المعجم التاريخي للغة العربية

عادل الفريجات

المعجم التاريخي للغة العربية هو المعجم الذي يرصد تطور دلالات الألفاظ وعلاقاتها بعضها ببعضها الآخر صرفياً ودلالياً، وتاريخ ظهورالمفردة وتغيراتها الصوتية والدلالية. وتعد المعجمات التاريخية للغات عنواناً من عناوين تقدمها وتطورها؛ لأنها من خلال تلك المعجمات تسجل تاريخها الفكري والحضاري والعلمي. وعلى الرغم من وجود نحو /1500/ معجم في اللغة العربية من مختلف الأصناف، فإن المعجم التاريخي الذي يعمل به اليوم اتحاد المجامع العربية، يبقى الأهم والأعظم. والمعاجم اللغوية مثل الصحاح ولسان العرب وتاج العروس لا تشكل إلا روافد من روافده، في حين تشكل روافده الأخرى كل ما أنتجه العرب في مختلف فروع الأدب والفن والمعارف والعلوم.

وقد تبنى مجمع اللغة العربية في القاهرة منذ تأسيسه فكرة تأليف هذا المعجم، وعياً منه لأهميته وأثره في خدمة اللغة والحضارة العربيتين. وجاء في المادة (2)، الفقرة (ب) من مرسوم إنشاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الصادر سنة 1932م أن من مهماته، ما يلي: «أن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية، وأن ينشر أبحاثاً دقيقة في تاريخ بعض الكلمات، وتغيّر مدلولاتها». ولهذا حين أسند معهد الاستشراق الألماني لـ (أوغست فيشر) العمل بهذا المشروع، ألف مجمع القاهرة لجنة لمعاونته في العام 1936. ومن الجدير بالذكر أن (فيشر)، وهو أستاذ بجامعة ليبز الألمانية، كان ينوي وضع معجم تاريخي للغة العربية حتى نهاية القرن الثالث الهجري. وبعد أن بدأ بالعمل، عرض بعض عمله على اللجنة، فسجلت عليه بعض الملاحظات، وأهمها عدم فهمه الدقيق لبعض المعاني، وخلطه بين الحقيقة والمجاز، فهو عندما وقف عند الآية : «لا تأخذه سنة ولا نوم» شرح «تأخذه « بمعنى تنومه. ومعناها الصحيح تغلبه. وهذا يفضي إلى الاستنتاج أن الأولى بعمل المعجم الذي نتحدث عنه هم أبناؤه الخلص ذوو السلائق السليمة، والإحساس الفطري بدقة المعاني وبأطيافها المحيطة. ومع ذلك فقد أنجز فيشر، قبل وفاته في العام 1949، جزءاً من حرف الألف ينتهي عند مادة (أبد). وكان (فيشر) يرى أن كل كلمة وجدت في اللغة ينبغي أن تدخل المعجم، وتعرض حسب وجهات النظر السبع التالية: التاريخية والاشتقاقية والتصريفية والتعبيرية والنحوية والبيانية والأسلوبية.

وبدهي أن وراء مشروع «فيشر»، الذي لم يتم، إعجابٌ شديدٌ بثراء العربية وغناها النادرين، وفيشر هو القائل: «إذا استثنينا الصين، فلا يوجد شعب يحق له الفخار بوفرة كتب علوم لغته غير العرب».

وفي أواسط الثمانينيات من القرن العشرين تأسست في تونس جمعية المعجمية العربية، واهتمت بمشروع المعجم التاريخي للغة العربية، وخصته بندوتها العلمية الثانية في العام 1989. وأنشئ في العام 1990 مشروع المعجم العربي التاريخي بتمويل من الحكومة التونسية، ثم توقف. وأعيد العمل به في العام 1996. وأخيراً قرر اتحاد المجامع العربية إنشاء مؤسسة مستقلة تتفرغ لتأليف المعجم التاريخي للغة العربية. وكان العمل على جمع الشواهد اللازمة يتم يدويا... أما اليوم فصارت العملية أيسر بكثير بفضل الحاسوب وبنوك الكلمات. وبعد إنشاء المدونة اللغوية المكونة من نصوص كثيرة تضم ملايين الجمل والعبارات، وتنتمي إلى أزمنة وأمكنة مختلفة، يجري البحث عن الألفاظ لفظا لفظا، وهنا يزودنا الحاسوب وفق برنامج محدد بآلاف العبارات والجمل التي يرد فيها اللفظ المطلوب تأريخه، مرتبة ترتيباً تاريخياً... ويتولى اللغويون والمعجميون استخلاص الدلالات المختلفة من السياقات التي ورد فيها اللفظ المعني. وينبغي أن يكون هذا المعجم مفتوحاً، لأن اكتشاف ألفاظ جديدة ودلالات مستحدثة مستمرة ولا تتوقف. ولا بد من أن يكون لهذا المعجم موقع على الشابكة /الانترنت/ وأن يكون مفتوحا للراغبين في المشاركة ضمن شروط محددة.

صحيح أن المهندسين اللغويين لهم دور حاسم في هذا المجال، لكن العمل في هذا المعجم قد يستغرق عشرات السنين. وقد ذكر علي القاسمي أن معجماً تاريخياً لإحدى اللغات غير المشهورة استمر العمل به مئة عام كاملة.

وفي معرض إشارته إلى تحديات هذا المعجم كتب أحد أعضاء المجمع العلمي العربي بالقاهرة يقول: «المعجم التاريخي للغة العربية تتداخل فيه علوم كثيرة، علوم اللغة والأدب والتاريخ والفلسفة وعلوم النفس والاجتماع والسياسة والفنون والاقتصاد والعلوم العسكرية وعلوم الطب والصيدلة وعلوم الفلك والزراعة إلى غيرها من العلوم. لأن المشروع، وإن كان لغوياً، فإنه في حقيقة الأمر متعدد الوجوه، بحسبان أن التأريخ للغة هو تأريخ للحياة العامة في تطورات مسيرتها منذ أن نطق الناس بهذه اللغة أو تلك».

إن صناعة المعجم، بأي لغة كانت، هي صناعة ثقيلة بالمعايير العلمية، وصناعة المعجم التاريخي هو في المقدمة منها. ومن هنا لا يقوى على تنفيذ متطلباته إلا مؤسسة ضخمة لها ميزانيتها المالية الكبيرة، ولها كادرها العلمي المناسب، ولها متطلباتها التقنية الضرورية. ولهذا السبب تبنى اتحاد المجامع العربية تنفيذ تلك المهمة الكبيرة.

رسالة الغزي في آداب المؤاكلة

أحمد علي محمد

لم يترك العرب فناً من فنون الآداب والأخلاق دون أن يؤلفوا فيه كتاباً، ليكون تذكرة تزكو بها أنفسهم، وتستقيم فيها سلوكاتهم، انسجاماً مع طباعهم، واتساقاً مع أخلاقهم، وكان الكلام كثر حول تأثرهم بالشعوب الأخرى في طرق معاشها ووسائل حياتها، والواقع أن للعرب موئلاً ترتد إليه في أصول آدابها، ومكارم أخلاقها، وهذا بالطبع لم يمنع من تأثرها بمن جاورها من الأمم، فتضاعفت بذلك كنوز آدابها. بيد أن استخلاص مآثرها من طبيعة حياتها كان أوثق لديها، فمن أجل ذلك كثرت آدابها، وتعاظمت أخلاقها، فتنوعت مؤلفاتها في تقويم سلوكها، وتهذيب طبعها، فصارت إلى الكتب التي ترمي إلى ذلك، فبرز اهتمامها بأدب المؤاكلة، على النحو الذي تبرزه رسالة بدر الدين الغزي في هذا الموضوع، والغزي كما هو معروف واحدٌ من الشُعراء المشهورين والكُتّاب النابهين، وهو من رجال القرن الثامن الهجري، ولد بغزة ومات بدمشق سنة 748هـ، وكان قد وضع كتاباً سماه «قريض القرين ووجوده» معارضاً فيه ابن شُهيد الأندلسي في كتابه المشهور «بالتوابع والزوابع»، كما ألف رسالة في آداب العشرة وذكر الصحبة.

والواقع أن رسالة الغزي التي سماها «آداب المؤاكلة» في غاية الطرافة والإمتاع، لأنه تكلم فيها على واحد وثمانين عيباً تلحق بالآكلين، إذ هو لم يتكلم على صنوف الأطعمة ولا على طرق طهوها أو تناولها، بل تحدث عن عيوب الأكل. كان يهدف إلى تعرف الناس تلك العيوب لتجنبها، ومن تلك العيوب التي أحصاها بالنظر إلى صفة أصحابها: الزاحف: هو الذي إذا قُدّم الطعامُ زحف إلى المائدة قبل الجماعة؛ والمبعبع: هو الذي إذا أراد الكلام لم يصبر إلى أن يبتلع اللقمة، ولكنه يتكلم في حال المضغ فيبعبع كالجمل ولا يكاد يُفسر كلامُه؛ والمفرقع: هو الذي لا يضم شفتيه عند المضغ، فيُسمع لأشداقه صوتٌ من باب بيته، وربما ينتثر المأكول من أشداقه، والأدب أن لا يسمعه الأقربُ إليه؛ والدّفاع: هو الذي إذا جعل اللقمة في فمه أدخل معها بعض أصابعه كأنّه يدفعها بها؛ واللّطاع: هو الذي يلحس أصابعه ليميط عنها وَدَكَ الطعام قبل أن يفرغ من الأكل؛ والمعطاش: هو الذي إذا عطش وفي فمه لقمة لا يصبر حتّى يبتلعها، فيشرب الماء، وهو يمسكها في شدقه ثم يشرب، ثم يعاود مضغها؛ والنفّاخ: هو الذي يتناول اللُقمة الحارة فينفخها بفمه ابتغاء تبريدها؛ المغثي: هو الذي يملأ ذقنه بالزفر لعدم ضبطه فمه؛ والجملي: هو الذي لخشيته من تنقيط المرق على أثوابه يمد رقبته إلى المائدة؛ والمصفف: هو الذي يقوم ويتشمر عند حضور المائدة ويصفف الأطعمة، ويوهم أنّ هذا خدمة للحاضرين، وليس كذلك، بل لينظر في الألوان ليجعل الطيب قريباً من مكانه؛ والجردبيل: هو الذي إذا رأى في الخبز نقصاً يحمل منه كسرة كبيرة ليجعلها ذخيرة له؛ والملقو: هو الذي يأكل اللقمة الكبيرة فَتُرى خارج فكه كالسلعة؛ والنهم: هو الذي يأكل لقماً دراكاً ويتأخر الجماعة بعد أن يفرغوا من طعامهم؛ وحاطب الليل: هو الذي لا يستقصي تأمل ما يأكله؛ والبحاث: هو الذي يبحث الطعام ويفرقه وينظر في أجزائه حتّى يغثي نفس من يراه؛ والمصاص: هو الذي لا يتمالك نفسه إذا رأى عظماً سارع إلى استخراج المخ منه، ثم يعاود الطعام؛ والمحدّث: هو صاحب المنزل الذي يشاغل ضيوفه بالحديث المتصل الذي يستدعي الجواب، فيلهيهم عن الطعام بالإصغاء؛ والبقّار: هو الذي يخرج لسانه كالبقرة وقتاً بعد وقت للحس شفتيه خارج فمه؛ والموحش: وهو رب المنزل الذي يضرب غلمانه إذا كانت لديه وليمة...

لم تكن رسالة الغزي تلك فريدة في بابها، بل هنالك رسالة أخرى لابن العماد الأقفهسي سماها «آداب الآكل» تكلم فيها على آداب الطعام وآداب النوم وآداب الطعام، في حين أن الغزي، وهذا الطريف في الأمر، قد قصر كلامه على عيوب الآكلين فحسب.

شعر الأضياف

نايف شقير

الشعر ديوان العرب، هو مستودعُ علومهم، وحافظُ آدابهم، ومعدنُ أخبارهم، وهو مناط تفاخرهم وسجلّ مكارمهم، ومعرض تفوّقهم، وهو الوثيقة الأصدق التي تبيّن لنا ما كان عند القوم، والشعراء ألسنة الزمان..

والحديث في الكرم والضيافة يعني الحديث في البيئة خالقة القيم والأعراف. وأخلاق الضيافة درس لقنته الطبيعة للعربيّ في بيئته القاسية. لقنته أنّه مهما كان فقيراً، عليه أن يقدّم بعض ما عنده لمن يأتيه من ضيف، إنقاذاً لحياته من قسوة البادية ومن شحّها.

ليس في البادية ملجأ يلجأ الإنسان إليه إلاّ تلك الخيام المضروبة هنا وهناك، هي ملاجئ مهما قيل فيها، وهي قوارب النجاة أو جزر صغيرة في محيط واسع شاسع، لا يطمع الإنسان منها إلا في الاستراحة ثم يتابع المسير، وإذا امتنع صاحب الخيمة عن أداء حقّ الضيافة، عرّض حياة ضيفه للخطر، وعرّض حياته إلى ذلك الخطر، فاليوم هو في خيمته يستقبل ضيفاً، وغداً هو ضارب في الأرض يلتمس من يستضيفه.

وقد حافظ الإسلام على هذه السنّة الحسنة ودعا إليها، فقد جاء في الحديث النبويّ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه».

وبالغ بعض العرب بالكرم حتى ضُرب بهم المثل. ولعلّ أبرزَ هؤلاء وأيقونةَ الكرم في الضمير العربيّ حاتمُ الطائي.

وفي شعر حاتم ضروب من معاني الكرم والقيم التي يفاخر بها العربيّ، وفي شعره جماع ما يبحث المرء عنه من معانٍ يتطلّع إليها العربيّ حين يتّجه في حديثه صوب الكرم وإكرام الضيف.

وقد كان من عادة الأجواد إيقادُ النار في الظلام ليراها الغريب والمحتاج والجائع من مسافة بعيدة فيفد إليها، فيجد من يَقريه ويقدّم له ما يحتاج إليه من طعام. ويقال لها "نار القرى" و"نار الضيافة". وكانوا يوقدونها على الأماكن المرتفعة، لتكون أشهراً.

وقد تحدّث الشعراء كثيراً عن هذه النار، من ذلك قول إبراهيم بن هَرمة:

يبيتون في المشتى خماصاً وعندهم
من الزاد فضلات تُعدّ لمن يُقرى
إذا ضلّ عنهم ضيفهم رفعوا له
من النار في الظلماء ألوية حمرا

وكان منهم من يوقدها بالمندليّ الرطب، ليهتدي إليها العميان، بشمّ رائحة الطيب التي تفوح منها عند الاحتراق. وهي من أجلّ الأعمال عند العرب. وقد ذكرت في الشعر الجاهلي، وذكرها الشريف الرضي فقال:

حيثُ الثرى خضِلُ الأكناف تُرفع
في يفاعهِ لقرى الأضياف نيرانُ
نارٌ يهانُ ذكيُّ المندليّ بها
ويوقدُ العنبُ الهنديّ والبانُ

والشتاء فصل التفاخر عند الكرماء، ففي أبيات أوردها صاحب الحماسة في باب الأضياف يصل البرد إلى منتهاه، والناس يلتجئون في خيامهم، أمّا كريم القوم فيسارع إلى استقبال ضيوفه التائهين المنهكين. يقول مرة بن محكان:

يا ربّة البيت قومي غير صاغرة
ضمّي إليك رحال القوم والقُرَبا
في ليلة من جمادى ذات أندية
لا يبصر الكلب من ظلمائها الطنبا
لا ينبح الكلب فيها غيرَ واحدة
حتى يلفّ على خيشومه الذنبا

ويتّجه جابر بن حباب في المسألة وجهة أخرى، فيقول:

فإن يقتسم مالي بنيّ ونسوتي
فلن يقسموا خلقي الكريم ولا فعلي
وما وجد الأضياف فيما ينوبهم
لهم عند علات النفوس أباً مثلي
أهين لهم مالي وأعلم أنّني
سأورثه الأحياء سيرَةَ مَنْ قبلي

وهنا يصير الضيف معادلاً موضوعيّاً للولد، ولا شيء عند العربيّ يعادل الولد، فإن كانت سنّة الله في خلقه أن يرث الخلف المال عن السلف، فإنّ المحامد والمكارم لا يقتصر توريثها على الأهل، بل هي إرث ينمو كلّما وجدت من يرثها من غير الأقرباء، بل إنّه يزعم أنّه أب صالح للضيف يكرمه حين يتعلّل الآخرون بالعلل، وليس هذا خلقاً طارئاً فيه، بل هي شيمة يتوارثها الأبناء عن الآباء.

ومن القصص الطريفة التي تظهر اهتمام العربيّ بإكرام الضيف وانشغاله في المسألة، ما يروى عن نزول يهودي على أعرابي ثم موتِه عنده، فقام الأعرابي وصلّى عليه وأخذ يدعو: اللهم إنه ضيف وحق الضيف ما قد علمت، فأمهلنا إلى أن نقضي ذمامه ثم شأنَك والكلب.

وهذه حال إشكاليّة واجهت الأعرابيّ، فاليهوديّ ضيف، وقد رأى أنّ من تمام إكرامه أن يُصلّى عليه – وإن كان من غير المسلمين - طالما أنّ الصلاة على الميت غاية ما يقتضيه حال المتوفّى، ولكنّه في الوقت نفسه رأى أنّ الله سيأخذ هذا اليهوديّ وجهة أخرى، فالله -على ما يرى هذا الأعرابيّ- سيأخذ اليهوديّ ويرديه في قعر جهنّم، وكانت صلاته ودعاؤه أن يمهله الله حتى يتمّ الأمر لكي لا يبقى لليهوديّ حقّ من حقوق الضيافة، ولم يكن دعاؤه له بالمغفرة.

ومن حقّ الضيف أن تجتمع له أسباب الترحيب والمحبّة ليقبل على الطعام، ولا يتحرّج في ذلك، وكانوا يجعلون من ذلك حسن الضيافة والاستقبال وممازحة الضيف، وهذا كثير في شعر العرب، من ذلك قول أحدهم:

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله
ويخصب عندي والمحلّ جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى
ولكنّما وجه الكريم خصيب

ومعنى آخر تناوله الشعراء في مسألة إكرام الضيف، ولعلّها تكون كاشفة شيئاً من دوافع العربيّ للكرم، وهي الرغبة في الصيت الحسن، فالعربيّ يهتمّ أن يُقال فيه الكلام الطيّب وأن

الأصمعي

يمدح، ولو كان بعض المديح مبالغاً فيه، ونحن حتّى يومنا هذا نلمس هذه الصفة، فقد يقدّم أحدهم لضيفه ما يثقل كاهله، يقدّمه وهو فرح طمعاً في أن يقال يوماً إنّه رجل كريم، ونجد مثلاً هذا المعنى في قول خفاف بن عبد القيس البرجمي:

والضَّيفَ أَكْرِمْهُ فإنَّ مَبِيتَه
حَقٌّ ولا تَكُ لُعْنَةً للنُّزَّلِ
واعْلَمْ بأنَّ الضَّيفَ مُخْبِرُ أَهْلِه
بمَبِيتِ لَيلَتِه وإنْ لم يُسْأَلِ

وكما أن في القوم من يتمدح ببذل القرى ومعاناة الطوى، وتحمّل الكلفة ومواساة ذوي الخَلة، فكذلك فيهم البخيل الجامع، واللئيم الراضع، ومن يؤثر التفرّد بناره والاستئثار بزاده من دون ضيفه وجاره، قال أحد هؤلاء:

أعددت للضيفان كلباً ضارياً
عندي وفضلَ هراوةٍ من أرزن
ومعاذراً كذباً ووجهاً باسراً
متشكيّاً عضّ الزمان الألزن

وقال آخر في نحو ذلك:

وإني لأجفو الضيف من غير بغضة
مخافة أن يُغرى بنا فيعودُ

وذكر أعرابيّ قوماً فقال: ألغوا من الصلاة الأذان، مخافة أن تسمعه الآذان، فيهلّ عليهم الضّيفان، وفي هؤلاء قال الشاعر:

تراهم خشية الأضياف خرساً
يصلّون الصلاة بلا أذان

ووقف الأخطل مليّاً عند صفة البخل في قوم جرير، وعيّره بذلك في أشعاره وأغلظ في القول، من ذلك أبياته المشهورة التي منها:

قَوْمٌ إذا اسْتَنْبَحَ الأَضْيافُ كَلْبَهُمُ
قالوا لأُمِّهِم بُولي على النَّارِ

ورأى النقّاد القدامى هذا البيت أَهْجَى بيت قالته العَرَبُ؛ لأنه جَمَع ضُرُوباً من الهِجاءِ والمهانة؛ فقد نَسَبَهم إلى البُخْل لكونهم يُطْفِئُون نارَهم مَخافةَ الضِّيفان، ويَبْخَلُون بالماءِ فيُعَوِّضُونَ عنه البولَ، وكونِهم يَبْخَلُون بالحَطَبِ فنارُهُمْ ضَعِيفَةٌ يُطْفِئُها بَوْلَة، وكونِ تلكَ البَوْلَة بَوْلَة عَجُوزٍ وهي أَقَلُّ مِن بَوْلَةِ الشابة، ووصَفَهم بامْتِهانِ أُمِّهم وذلك لِلُؤْمِهِم، وأَنهم لا خَدَمَ لَهم.

وروى الأصمعي أنّ رجلاً يقال له ابن حمامة مرّ بالحطيئة، فقال: السلام عليك. قال: قلتَ ما لا يُنكر. قال: إني أردت الظلّ. قال: دونَك والجبلَ حتى يفيء عليك. قال: إنّي خرجت من عند أهلي بغير زاد. قال ما ضمنتُ لأهلك قراك. قال: إنّي ابن حمامة. قال: كن ابن أيّ طير شئت. فمضى عنه آيسا.

وقال: خرج الحطيئة يوماً من خبائه وبيده عصا، فقال له رجل: ما هذه؟ قال: عجراءُ من سَلم. قال: إنّي ضيف. قال: للضيف أعددتها.

وإلى هذه القصص التي تُروى عن بخل الحطيئة ولؤمه، تروى قصّة من نمط آخر بلغ فيها الحطيئة غاية الكرم، ما جعل ابنه يقدّم نفسه قرباناً ينحره أبوه ليطعم الضيف، ويهمّ أبوه بذبحه، وقد صاغ الحطيئة هذه القصّة في قصيدة محكمة البناء، تتصاعد الأحداث فيها وتتعقّد ثمّ يأتي الفرج بعد الشدّة، وتجود الطبيعة بخيرها على الحطيئة فيطعم ضيفه وأبناءه ويصير من شدّة سعادته كأنّه أب لهذا الضيف، وتصير زوجه كأنّها أمّ له، والقصيدة من عيون الشعر السائر على مرّ الأيّام، ومنها:

وَطاوي ثَلاثٍ عاصِبِ البَطنِ مُرمِلٍ
ببيداء لَم يَعرِف بِها ساكِنٌ رَسما
أخي جَفوَةٍ فيهِ مِنَ الإِنسِ وَحشَةٌ
يَرى البُؤسَ فيها مِن شَراسَتِهِ نُعمى

والحديث في الكرم والشعر المقرون به ذو شجون ومتشعّب جدّاً، سأختار منه حديث الشاعر عن الكلب وتوظيفه هذا الحيوان لإبراز صفة الكرم عنده.

والكلب عند العربيّ قرين للكرم، ومعادل موضوعيّ لصاحبه، فكأنّه يتحدّث بلسانه، وينوب عنه في الترحيب بالضيف، لذلك كثر الحديث في الشعر العربيّ عن الكلب ووظيفته المضافة إليه من غير ما اعتاد الناس للكلاب من وظائف، واتّخذه الشعراء وسيلة للتعبير عن كرمهم، وأسبغوا عليه من الصفات ما يدلّ على اعتياده ورود الضيوف على المنزل؛ فالكلب الذي فُطر على تنبيه أصحابه بنباحه والذود عن المنزل يصير عند هؤلاء الشعراء جباناً ألوفاً يرحّب بالقادمين، وجاء في المثل: فلانٌ جَبانُ الكَلبِ؛ كِناية عن الكَرَمِ وكَثْرةِ تَوارُدِ الأَضْيافِ.

ولم يجد حسّان بن ثابت خيراً من الحديث عن كلاب الغساسنة للتعبير عن شدّة كرمهم:

يُغشون حتّى ما تهرّ كلابهم
لا يسألون عن السواد المقبل

وهذا المعنى تداوله الشعراء كثيراً، يقول حاتم:

إذا ما بخيل الناس هرّت كلابُه
وشقّ على الضيف الغريب عقورها
فَإِنّي جَبانُ الكَلبِ بَيتي مُوَطَّأٌ
أَجودُ إِذا ما النَفسُ شَحَّ ضَميرُها
فإنَّ كلابي قد أُقِرَّتْ وعُوِّدتْ
قليلٌ على من يعتريني هريرُها

وتفرح الكلاب عند القوم الذين يكثر ضيوفهم، فإذا أبصرت ضيفاً رحّبت به:

←

وفرحن إذ أبصرنه فلقينه
يضربنه بشراشر الأذناب

وإنما تفرح به لأنّها قد تعوّدت إذا نزلت الضيوف أن ينحر لهم فتصيب من قراهم.

أمّا بخلاء العرب ممّن لم يكونوا يهتمّون لكلام النّاس، وكذلك كان المعدمون الذين يخافون أن يَسْرُكَهم أحد في زادهم الذي ادّخروه، فقد كانوا ينقبون لَحْيَ الكلب (حنكه) في السنة الصعبة لئلا يسمع الأضياف نباحه.

إنّ الوقوف على وظيفة الكلب المضافة إليه أمر جدير بالعناية والانتباه، وقد ذكر صاحب المستطرف أنّ العرب كانت تسمّي الكلب داعيَ الغريب، ومتمّمَ النعم، ومشيدَ الذكر لما يجلب من الأضياف بنباحه. وكانوا إذا اشتدّ البرد وهبّت الرياح، ولم تشبّ النيران، فرّقوا الكلاب حوالي الحي وربطوها إلى العمد لتستوحش فتنبح، فتهتدي الضُلاّل وتأتي الأضياف على نباحها.

ومن أبرز تجلّيات توظيف الحديث عن الكلب في إكرام الضيف أن يتقنّع الرجل في ترحاله بقناع الكلب، فيصدر نباحاً إذا داهمه الجوع والخوف والعزلة يؤمّل النّفس أنّ كلاب الحيّ – إن كان ثمّة حيّ قريب - ستجيبه وتدلّه على مضارب أصحابها، وهذه الصورة نجدها عند طائفة كبيرة من الشعراء وفي العصور المختلفة.

وقد استهلّ أبو تمّام بابَ الأضياف في اختياراته الشعريّة (الحماسة) بأبيات لعتبة بن بجير الحارثيّ تناول فيها هذا الموضوع، منها:

ومستنبحٍ بات الصدى يستتيهه
إلى كل صوت فهو في الرحل جانح
فقلت لأهلي ما بغامُ مطيّةٍ
وسارٍ أضافتـه الكـلاب النوابح
فقالوا غريب طارق طرّحت به
متون الفيافي والخطوب الطوارح

والشعر في هذا الموضوع كثير عند الشعراء، وكانوا يتفاضلون فيما بينهم بالصور المدهشة لذلك الرجل الذي اضطّرته حاله إلى أن يتقمّص الكلب فينبح لتجاوبه كلاب الحيّ، فالمستنبح في النص السابق في حيرة من أمره لا يعلم أيّ صوت يتبع، فنباحه يتردّد صداه في كلّ ناحية، وهو يتمايل يتبع الصدى برأسه، ويكاد يقع عن الرحل. ومستنبحٌ آخر حاله كحال من سبقه:

ومستنبح تهوي مساقط رأسه
إلى كلّ صوت فهو للسمع أصور
حبيبٍ إلى كلب الكريم مناخُه
كريبٍ إلى الكوماء والكلب أبصر
فالكلب يُسرّ إن أتى ضيف، وتحزن الإبل.

وهذا مستنبح آخر تأخذه الريح من كلّ جانب، وتكاد تنزع ثوبه من شدّتها:

ومستنبح تستكشط الريحُ ثوبَه
ليسقط عنه وهو بالثوب معصم
عوى في سواد الليل بعد اعتسافه
لينبح كلب أو ليَفـزع نوّم
فجاوبه مستسمع الصوت للقرى
له مع إتيان المهبـين مطعم
يكاد إذا ما أبصر الضيف مقبلاً
يكلّمـه من حبّه وهو أعجم

وفي الأبيات إضافة مهمّة في الحديث عن الكلب؛ مستسمعِ الصوت للقرى الذي يكاد ينطق ويرحّب بالضيف مع أنّه أعجم، وهذا برهان آخر على الفرح الغامر الذي يصيب هذا الشاعر إن أقبل ضيف على الديار.

وشاعر آخر يخاف أن يسبقه إلى الضيف آخـرون، فيسرع بلقائه والترحيب به، فكأنّه غنيمة يخشى أن يسبقه إليها أحد من قومه، والغاية هي هي، الحمد والثناء الذي يبذل من أجله المرء كلّ ما عنده:

ومستنبح قال الصدى مثل قوله
حضأت له ناراً لها حطبُ جزل
فقمت إليه مسرعاً فغنمتُه مخافة
قومي أن يفـوزوا به قبلُ
فأوسعني حمداً وأوسعته قرى
وأرخص بحمد كان كاسبَه الأكل

وفي الختام هذه بعض الملاحظات التي يحسن الوقوف عليها في المسألة:

1- الكرم سلوك اجتماعيّ مرتبط ببيئة داعية إليه، وهو ابن الضرورة الطبيعيّة، وليس خلقاً أصيلاً في العربيّ كما يحلو لكثير منّا التغنّي.

2- المبالغة في الكرم فعلٌ يحرّض عليه المردودُ القريب للكرم، ولا يكون هذا إلاّ في حضرة سيّد قوم أو وجيه من وجهائهم أو شاعر، والمفاخرة بالكرم الجزيل –خارج هذه الحال- كلام غير صحيح، فالشاعر يتحدّث عن نحر إبله أو فرسه أو همّه بذبح ولده، وكلّ هذا وجه من وجوه الاستعراض، ليس الهدف منه إلاّ الصيت الحسن والمباهاة، وإنْ فعل هذا فإنّ الغاية منه الشهرة. وتروى حادثة عن حاتم أنّه نحر ثلاثة من الإبل لثلاثة شعراء التقاهم في الطريق وقد سألوه القرى، وحين تعجّبوا من فعلته قال: «قد رأيت وجوها مختلفة، وألوانا متفرقة، فظننت أن البلدان غير واحدة؛ فأردت أن يذكر كلّ واحد منكم ما رأى إذا أتى قومه، فقالوا فيه أشعاراً امتدحوه بها، وذكروا فضله».

3- البخلاء من العرب قوم لم يكونوا يملكون شيئاً يقدّمونه للضيف، أو هم شعراء هجّاؤون يعلمون أنّهم سيلاقون الترحيب حيث حلّوا مخافة ألسنتهم، أو هم أنـاس مطمئنّون أنّهم لن يخضعوا لتجربة الجوع والخوف، (قريش التي أطعمها الله من جوع وآمنها من خوف) لأنّهم قوم عرفوا الاستقرار في حواضر ولديهم من المال ما يكفي ليدرأ عنهم غائلة الجوع والحاجة.

4- الشعر الشعبيّ في بيئتنا الذي يتغنّى فيه الشعراء بخصال حميدة على رأسها الكرم، هو شعر يعود في مفاهيمه وقيمه إلى عصر مضى، ولا يمتّ كثيراً لواقع الحال.

5- الشعر العربيّ وثيقة اجتماعيّة أرّخت لهذا السلوك، وتفنّن الشعراء في تزيين الأمر للنّاس إغراء لهم وتهويناً من ثقل الكرم، وقد قيل إنّ الكرم باب واسع من أبواب الشجاعة، ولا يقوى على الكرم إلاّ الشجعان.

6- إنّ اهتمام العربي بالكلب، ذلك الحيوان الأليف رفيق العربيّ في باديته، وجعلَه صنواً للبشر ومعادلاً موضوعيّاً للكرم، من بقيّة النظرة التي تقدّس الكلب وتجلّه. وقد وقفنا على صورة مغرقة في غرابتها وطرافتها، هي تقمّص الإنسان شخصيّة الكلب والنباح لتجاوبه كلاب الحيّ مؤمّلاً أن يستضيفه أصحابها، ولا يفعل المرء هذا إلاّ في أشدّ لحظات اليأس والخوف والجوع والوحشة في البريّة المنقطعة عن الإنس.

أجواد العرب نماذج إنسانيّة حفظها لنا الشعر والحكايات الشعبيّة في صورة يصعب الوصول إليها، بل إنّ الوصول إليها أمر مستحيل، ولكنّها القدوة الحسنة والنموذج المثال الذي يظلّ هدفاً للإنسان يسعى إليه ولا يستطيع الوصول إليه مهما سعى.

مراجعة البلاغة
أيٌّ حالٍ في مقتضى الحال..؟!!

عبد الكريم محمد حسين

في تعاريف العلماء للبلاغة قولهم: «البلاغة مراعاة مقتضى الحال»، ومنبع هذه العبارة من رؤية الإبداع أو تَخَلُّقِه؛ فهي تجعل الكلام تعبيراً «يستوي فيه التعبير باللسان وقسمات الوجه كالانطلاق بالبِشر، أو التجهم أو العبوس أو الإشارة...»، ولا تراه محاكاة، ولا تجعله صناعة، وإذا صار الكلام تعبيراً يقتضيه الحال، فأولى الأحوال تلك التي يحياها الناطق بل المتكلم، والأحوال متغيرة تغير الأزمان والمكان والإمكان (الطاقة) التي يمر بها الإنسان، مما يؤدي إلى تجدد التعبير إلى غير نهاية معلومة. وهذا يصح إذا أراد المتكلم أن يعبر عن نفسه وحاجاتها وأشواقها كالتوجع والشوق إلى الحبيب الذي يحن إليه، لكن كيف يعبر عن حال المخاطب؟ والأحوال النفسية تختلف ولو تعرض الاثنان إلى موقف واحد فإن أحوالهما في ردود الفعل ستكون متباينة، فكيف يعبر المتكلم عن أحوال المخاطب؟ هذا سؤال لم يجب عنه علماء البلاغة ولا مدرسوها، ولم يخطر لهم ببال وغرض المقال تحريك السواكن، وكسر جدران الصمت لينطلق العقل من عقاله في فضاء الحرية العلمية.

وبتجدد الأحـوال تتجدد المعاني، وتتخلق الأفكار الجديدة بتجدد الأزمان والأماكن، والإنسان، وتبقى المشكلة في اللغة التي هي أصوات يعبر بها كل قـوم عن حاجاتهم كما يقول ابـن جني في الخصائص، والحاجات متجددة بتجدد الزمان والمكان، مما يقود إلى تجدد اللغة ضرورة. واللغة تجدد نفسها بتجدد أهلها وتجدد حاجاتهم وأشواقهم وأحوالهم الحضارية.

وترى أهل العلم يحدثونك عن مراعاة أحوال المخاطب في باب الخبر، فيجعلون الناطق إنما يراعي بقوله أحوال مخاطبيه، ولا يذكرون علاقته بأحواله، فمتى يأتي التعبير لمراعاة أحوال المخاطب؟ وما شأنه بالمتكلم؟ وقد كان الأصل أن يعبر كلٌّ منهما عن أحواله، وإنما يقصد الآخـر ويخاطبه بمقدار حاجته إليه..

ولعل الإجـابـة تكمن فـي أن هناك أحـوالاً مشتركة بين المتكلم والمخاطب يكون الغرض من كلام المتكلم إفادة المخاطب أمراً، أو إعلامه بعلمه به، وما يوجبه ذلك على المتكلم أو المخاطب من طرق للتعبير عن الأغـراض وهي لا تنتهي، وقد يكون الكلام تصويراً لأحوال غائبة محجوبة بحجاب الغيب الماضي أو الحاضر أو المقبل... فبلاغة الكلام في وصوله إلـى مقاصد قائله إن كـان يعبر عن نفسه لها أو لغيره، وأن يكون نافذاً إلى موضعه من قلب متلقيه من غير مقاومة تحجزه عن الوصول بل تؤخره عن ذلك..وللكلام أحوال مع ناطقه مبناه الاختيار والترتيب أي النظم: نظم المعنى ونظم المبنى، وتراتب البنى النفسية(العقلية والانفعالية) واللغوية(الأساليب والتراكيب، والألفاظ المفردة) والجمالية (الصور والمشاهد وطرق الأداء الصوتي الموافق للأحوال) وبنى المعاني المختبئة فيما تقدم.

وقـد حـام القزويني حـول هـذه المعاني؛ إذ يقول: «وأما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته. ومقتضى الحال مختلف فإن مقامات الكلام متفاوتة: فمقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد، ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام القصر يباين مقام خلافه، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة.

وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي، وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام إلى غير ذلك كما سيأتي تفصيل الجميع.

وارتـفـاع شـأن الـكـلام فـي الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب وانحطاطه بعدم مطابقته له؛ فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب.

وهذا أعني تطبيق الكلام على مقتضى الحال هو الذي يسميه الشيخ عبد القاهر بالنظم؛ حيث يقول: النظم تآخي معاني النحو فيما بين الكلام على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام.

فالبلاغة صفة راجعة إلى اللفظ باعتبار إفادته المعنى عند التركيب، وكثيرًا ما يسمى ذلك فصاحة أيضًا، وهو مراد الشيخ عبد القاهر بما يكرره في دلائـل الإعجاز من أن الفصاحة صفة راجعة إلى المعنى دون اللفظ» [الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، صنعة الخطيب القزويني (-739هـ) تحقيق: رحاب عكاوي، بيروت - دار الفكر العربي، ط1، 2000م: 16]

مما تقدم تجد القزويني لا ينطلق من حال الناطق أو غرضه، ولا من حال المخاطب أو فطنته؛ بل ينطلق من الكلام المفيد نفسه (الخطاب ومقامات الكلام فيه) إلى الأحوال المناسبة للتعبير اللغوي، ويجعل المتكلم والمتلقي حاضرين في تجاويف النص ودلالات الأساليب على الأحوال سواء بسواء؛ فكأنهما متفقان على دلالة الأحوال ومقتضياتها من غير عقد اتفاقية ولا مؤتمر مجمعي يضع القوانين ويُكره الناطقين على قبول تلك القوانين التي يمكن إجمالها بما يأتي:

خطاب الذكي بإخراج الكلام في الخطاب مخرج الإيماء والإشارة.

خطاب الغبي بإخراج الكلام إليه من غير حذف أو اختصار بل بزيادة وتوضيح..

مراعاة الأحوال الموجبة للاستفهام أو الشرط أو التعجب أو الإنكار أو التحسر...

الخطاب وعـاء يحمل صـورة أحـوال المخاطب بتقدير المتكلم..

إفـصـاح ألـفـاظ الخطاب عـن معانيها وفقاً لمقام المخاطب وأحواله البادية في عقل الناطق ونفسيته...

حُسنُ الخطاب مرتبط قوة وضعفاً بمقدار رعاية مقتضى الأحوال الداعية إلى التعبير عنه..

مما تقدم يتبين أن هناك أحوالاً للناطق اقتضت منه التعبير عنها، وأن هناك أحوالاً للمخاطب أوجبت على الناطق توجيه الخطاب إليه على هذا النحو أو ذاك.. وأن للخطاب المنطوق أو المكتوب أحـوالاً أوجبت للكلام مقامات وأحوالاً من النظم الشعري أو النثري من التعريف والتنكير والوصل والفصل.. مما يكشف عن أحوال المتكلم تارة وأحوال المخاطب تارة أخرى، وأحوالهما تارة ثالثة.. ومقتضى الحال مفهوم غائم في معاجم مصطلحات البلاغة عند الـعـرب، ولـم يتحدثوا عـن أحـوال المستمعين المتلقين للخطاب من غير أن يكونوا مقصودين به. ولم يقفوا على مكتسبات النص من الناقد، ولا خسائره من حيف النقاد... فأي حال مضمرة في مقتضى الحال؟!!

دراسة وتحليل في العبادات الآثمة.. لتاريخ مستعر

معين حمد العماطوري

تعدّ الدراسة البحثية في التاريخ وأصول المعتقدات والعبادات الماضية عملاً وجهداً كبيراً عند المهتمين والباحثين في علم الأساطير والمعتقدات الدينية القديمة؛ إلا أن الثورة الثالثة، وهي ثورة الاتصالات؛ سهلت المجال لدى الكثيرين من أصحاب الرؤى في استشراف المستقبل والتاريخ، لتفيد أنماط الثقافة الفكرية السياسية منها والاجتماعية هوية الانتماء العربي ومسحها التي من شأنها إبعاد الفرد العربي عن حقيقة ما يجري حوله من أحداث ووقائع تاريخية.

أيوب الحجلي

العبادات الآثمة والتاريخ المُستعر، دراسة منهجية تحمل آفاقاً ورؤى تاريخية قدمها للمكتبة العربية الباحث الشاب أيوب الحجلي، طارحاً أفكاراً وحقائق واقعية، ربما لم يمعن جيله النظر في تفاصيلها.

الكاتب أيوب الحجلي، الذي أهدى دراسته إلى أحجار العثرة في وجه أعداء الحضارة، وإلى نقاط الدم التي أريقت من أجل الحقيقة، مضيفاً إليهم عشاق الحرية. ودراسته الواقعة في أكثر من مائة وثلاثين صفحة من القطع الوسط، وضع غلافاً لها يحمل دلالة العبادات الآثمة المتمثلة في الوثنية واليهودية، وما خلفته من دمار ومجازر تشهد عليها عظام الإنسان وجماجمه، فجاءت النجمة السداسية على خلفية رجال الإجرام والقتل المتسترين ب برمزية تلك النجمة السداسية؛ التي أثبت الباحث أن لا علاقة لهم بها، وإنما تعود إلى عصور غائرة في القدم، وقبل وجود الفكر اليهودي.

يقدم الباحث الحجلي ضمن عشرة عناوين: ولادة الفكر الديني ومعتقدات اليهود الوثنية، والنجمة السداسية، والإنجيل الأسود وكنيسة الشيطان، وعلاقة اليهود بالجويم «الوثنيون»، والمسيحية والإسلام والجيتو «نمط العزلة الاجتماعية» والأسرة الروتشيلدية، خاتماً بحثه ببروتوكولات حكماء صهيون الخمس والعشرين.

تتميز لغة الكاتب باللغة السردية التاريخية التي تخلو من المتخيلات، ويعتمد على المراجع التاريخية؛ إلا أنَّ الكاتب لم يستطع أن يتخذ من دراسته الهامة بحثاً أكاديمياً يقسمها وفق طرائق البحث العلمي المعتمد من أبواب وفصول، لكن الدراسة تتضمن قيمة معرفية مضافة، حينما يثبت العبادات التي وضع اليهود لها آلاف البحوث والدراسات المضللة لإثبات أحقية حصولهم على رمزية خاصة تجعلهم يتمسكون بأرض القداسة والتاريخ فلسطين، إذ يبدأ، بعد أن أعطى لمحة تاريخية عن ولادة الفكر الديني والديانة الفينيقية والفرعونية، يشرح كيف بدأت معتقدات اليهود الوثنية؛ حينما ذكر قائلاً: أول ذكر للأوثان في الكتاب المقدس اليهودي في سفر التكوين 31 : 19 عندما قامت راحيل بسرقة أوثان أبيها، وخلط اليهود بين الوثنية والتوحيد؛ إذ أنهم حاربوا الوثنية بوصايا نبيهم الأولى والثانية؛ وعادوا إلى الوثنية بعد التوبة إلى الله والنكوث بالعهد والرجوع إلى الأصنام المتحجرة، بدأت الوثنية لدى اليهود التوراتيين مع نبيهم موسى في خروجهم من مصر ـ باعتبار أنّ التوراة أكدت هذا الخروج ـ عندما غاب موسى في شعاب جبل سيناء ليتلقّى الوصايا العشر من ربه يهوه، فصنع أتباعه اليهود جسماً لعجلٍ من الذهب والمعادن الثمينة، وأطلقوا عليه اسم «عُزير» وأخذوا يعبدونه، وعند عودة موسى حذرهم هارون من هذه العبادة الوثنية، فهدّدوه بالأذى الجسدي إذا تعرض لهم، أما التابوت الذي يحتوي جثمان نبيهم يوسف، فقد تعاملوا معه معاملةً وثنية، وحين لمسوه في إحدى المرات غضب عليهم يهوه وضرب الطيش رأسه وانتقم منهم.

هذا ما يثبت أن حضور الفكرة الوثنية كانت من ضمن ما أخذوه من الحضارات المحيطة بهم، وقد حارب الدين المسيحي منذ بداياته وأوائل عهده الوثنية بكل أشكالها وعدّها انحلالاً فكرياً وخُلقياً ودينياً.

الميزة الأخرى التي قدمها الكاتب هي حقيقة حائط البراق الشريف الذي يعدّه اليهود حائط المبكى لديهم،إذ قال الباحث: فعندما حدثت معجزة الإسراء والمعراج لم يكن هناك مبنىً معروفاً بالمسجد الأقصى، وإنما كان المكان الموجود بين أسوار الحرم الشريف مكاناً مخصصاً لعبادة الله تعالى؛ ولم يكن مسجداً بالمعنى المعروف الآن؛ أما المسجدان المعروفان الآن باسم المسجد الأقصى ومسجد قبّة الصخرة؛ فقد تمَّ تشييدهما خلال فترة الامبراطورية الأموية على يد عبد الملك بن مروان عام 65 هـ؛ ولم يكتمل بناءاهما، فأنجزا في عهد الوليد بن عبد الملك، بعد رصد خراج مصر سبع سنوات؛ فكانت تُحمل الأموال خلالها إلى القدس حتى تم البناء؛ وفي فترة الحكم العثماني سنجد أن عدداً من السلاطين العثمانيين أحسنوا معاملة اليهود قبل كشف الأهداف الصهيونية؛ فقد أعطاهم السلطان محمد الفاتح 1451 ـ 1481 حق الإقامة في استنبول، وبعد طرد اليهود من إسبانيا في العام 1493 أصدر السلطان بايزيد الثاني فرماناً يقضي بحسن معاملتهم، وبهذا أصبحت ممتلكات الدولة العثمانية مرتعاً لليهود، وذلك خلال فترة الحكم العثماني الذي شهدت تطوراً عمرانياً بين عامي 1520 ـ 1566 فدعا السلطان العثماني رعايا اليهود للإقامة في بيت المقدس وطبريا وصفد حتى بلغ عدد اليهود في فلسطين منتصف القرن الخامس عشر حوالي 1650 نسمة، وأما مرجعية هذا الحائط إلى اليهود، فهم يدّعون أنه جزء من هيكل سليمان، حيث وضعوا قصة بناء الهيكل في التوراة كما يلي: أنه بنى سليمان الهيكل في أورشليم ليكون مركزاً للعبادة اليهودية، فكان هذا الهيكل مسجداً للموحدين، وليس هناك دليل أثري علمي ملموس على مكان بناء الهيكل في القدس كلها، وطبقاً لبعض الروايات فقد بُني الهيكل وهُدم ثلاث مرات، وتم تدمير الهيكل والقدس على يد نبوخذ نصر عام 587 ق.م وسُبي معظم سكانها، وهُدم في المرة الثانية على يد أنطيوخوس الرابع بعد قمع فتنة اليهود عام 170 ق.م وأخيراً أعيد بناء الهيكل على يد هيرودوس الذي تُوج ملكاً لليهود عام 40 ق . م بمساعدة الرومان؛ ومن هنا نستطيع ملاحظة سيرة قصص اليهود في وجود الهيكل القديم، فقد تم بناء هذا الهيكل مرة واحدة وهي المرة التي بناه فيها هيرودوس فقط لتأثر اليهود بالحضارات البابلية القديمة وبعد عودتهم من السبي، فقد قاموا ببنائه لمناهضة المدنية العراقية حينئذ؛ ولا يوجد جذور تاريخية أقدم من هذا التاريخ لوجود الهيكل؛ فالحائط الموجود حول القدس من الجهة الغربية يُمثل حضارة الإسلام العريقة في الفترة الأموية؛ وقبل ذلك يُمثل إحدى أهم معجزات الرسالة الإسلامية المتمثلة بالإسراء والمعراج، تلك التي كممت الأفواه عن النطق بعد الصعود إلى سموات العُلا والشعائر اليهودية القائمة إلى هذا اليوم، التي يُمارسها اليهود وحاخاماتهم؛ وهي ضرب رؤوسهم بحائط البراق الشريف حتى يضنيهم البكاء ـ وهذا سبب تسميته بحائط المبكى ـ إنما هي طقوس وثنية قديمة قد احتفظوا بها منذ العهود البابلية القديمة.

عمد الكاتب أيضاً إلى إبراز حقيقة النجمة السداسية التي تستر اليهود في ظلها، وهنا إشارة إلى عنوان الكتاب الذي أشار الكاتب فيه إلى العبادات الآثمة والتاريخ المستعر، بأن رمزية هذه النجمة السداسية هي عهر ديني تاريخي سياسي للتستر على جرائمهم وطغيانهم في سبيل إثبات أنهم شعب الله المختار؛ فالكاتب يدرس البعد التاريخي والميثيولوجي لتلك النجمة السداسية مثبتاً أنها من أهم رموز علوم السحر والشعوذة؛ إذ بين أن الديانات الوثنية القديمة تمحورت حول العلاقة القدسية بين الأنثى والذكر؛ لأن هذا الارتباط يمثّل القدسية الإلهية في العبادات كلها في وقتها.

ويشير إلى ارتباط تلك النجمة برموز آلهة مولوك ورمفان وزحل، وهو أكبر الآلهة لدى الكلدانيين، كذلك عبادة الأسطورة لنمرود وسميراميس وعشتار وبعل وأفروديت وفينوس، وما زالت هذه الممارسات قائمة ضمن الهيكلية الوثنية الحديثة وعبادات الشيطان.

يطرح الكاتب الحجلي مصطلح «الهيكساغرام» عند الفراعنة المصريين رابطاً بين رمزيته واستخدام اليهود له بقدسية خاصة.

إذ يقول: واستُخدم الهيكساغرام عند الفراعنة المصريين من قِبل مشعوذيهم؛ حيث كانت النجمة السداسية عندهم هي الرمز للإله «أمسو»؛ وهو حسب المعتقدات المصرية أول إنسان تحول إلى إله وأصبح اسمه «حورس» والمعروف بالإله الصقر، ولا تزال إلى يومنا هذا تُستخدم في السحر والشعوذة لاستحضار الأرواح الشريرة والجان وفي الديانة الهندوسية تُستعمل النجمة السداسية كرمزٍ لاتحاد القوى المتضادة مثل الماء والنار، الذكر والأنثى، وهذا يعني مفهوم التجانس الكوني بين «شيفا و شاكتي»، وأيضاً ترمز إلى حالة التوازن بين الإنسان والخالق ألا، وترتبط النجمة السداسية بالنبي سليمان بن داوود وبحسب الروي التاريخي؛ لأنه عُرف عن سليمان بن داوود تعدّد الزوجات وكانت إحداهن مصرية؛ فساهمت في نشر تلك النجمة؛ لأنها كانت رمزاً هيروغليفياً لأرض الأرواح في المعتقدات المصرية القديمة.

كذلك حرّف اليهود رمز النجمة هذا حسب كتابة كلمة يهوه بالعبرية، فإذا أخذنا الحرفين الأول والأخير ودمجناهما متعاكسين فسوف تتشكل النجمة السداسية؛ وفي علوم ربط الرموز والأرقام فإنها تحتوي على 6 زوايا و6 أضلاع و6 رؤوس أي 666 وهذا الرقم ذو دلالةٍ حاضرة ضمن مراسم منظمة الدروز السحرية والماسونية وطقوسها ورموز النورانيين والفلكيين وجماعة الويكا؛ حيث إن الرقم 6 يرمز في التوراة إلى خلق الكون في ستة أيام، والتقاسيم الستة للتعاليم الشفهية اليهودية.

وكل هذه الفترة الماضية لم يكن لدى اليهود أي دلالة للنجمة السداسية أو صلة بها، حتى دخلت إلى الصهيونية عن طريق المدعو «ماير أمشيل باور» في القرن الثامن عشر، وهو من يهود الخزر، ومن عُبّاد لوسيفر أي الشيطان اليهودي ، ومن أتباع ديانة السحر الأسود الذي كان يضع لافتة على باب منزله فيها شعار أحمر، وهذا الشعار هو الهيكساغرام، فغيّر هذا الألماني اسم عائلته إلى «روتشيلد» التي تعني بالألمانية «العلامة الحمراء».

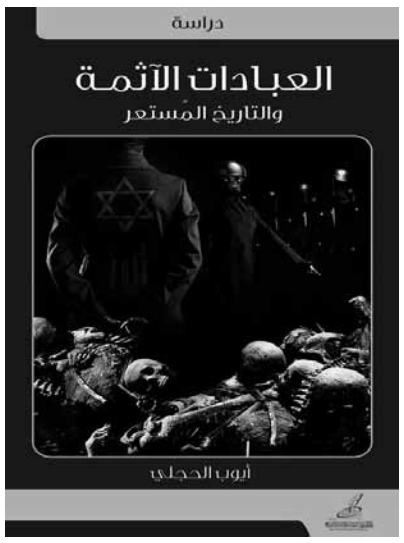

أكد الباحث أن أول ظهور لحركة الإنجيل الأسود وعبادات الشيطان وارتباطها بالمجوسية والزرادشتية المتبنية لبعض أفكار بعيدة عن المنطقية؛ جاء بها الفرس ابتداءً من حكم أبي جعفر المنصور حتى عصر الخليفة المأمون، قصد بها هدم الدين الإسلامي وتقويض المجتمع؛ حيث دعت إلى إسقاط الفرائض وإباحة الشهوات.

يختم الكاتب دراسته ببرتوكولات حكماء صهيون المعروفة، وما تحتويه من حقد وكراهية للشعوب.

العبادات الآثمة والتاريخ المستعر، دراسة موضوعية تحمل بعداً ثقافياً في تحديد سمات العلاقة مع الفكر اليهودي المتطرف، وكيف علينا أن نستخدم بإتقان وإمعان تقنيات الثورة الثالثة في خدمة ثقافتنا العربية، فهو كتاب جدير بالقراءة، ويغني المكتبة العربية بمعلومات وبيانات إضافية.

جماليات رواية فيليب روث "الوصمة البشرية"

ماجدة حمود

دلالة العتبة الأولى: العنوان

نعيش في روايـة الأمريكي فيليب روث «الوصمة البشرية» (ترجمة وتقديم فاطمة الناعوت، الهيئة المصرية للكتاب، سلسلة الجوائز، القاهرة، 2011) أزمة الوجود، حين تنهار الـروح، فيموت الضمير، وتعمى البصيرة، وينتصر الحقد، لذلك لم يعد الإنسان ضحية فقط، بل بات مذنباً، يدمر (الأنا) مثلما يدمر الآخر بالكراهية والتمييز، مثلما يدمر الطبيعة، حين يعبث بها، فيحبس حيواناتها في أقفاص تستلب حريتها، فتتحول إلـى أشياء معروضة! لهذا وجدنا الـغـراب في مشهد مؤثر لا يعرف الطيران نحو الحرية، فنسمع صوت (فونيا) يـردد: «تلك هي نتيجة أن يربى خارج بيئته... أن يحيا حياته كلها مع بشر مثلنا. الوصمة البشرية، قالتها دون اشمئزاز أو ازدراء أو إدانـة، وحتى دون حـزن... نحن نترك بقعة، وصمة، نترك ذيـولاً تتجرجر وراءنا، نترك دمغتنا، تلوّثنا، قسوتنا، عنفنا، أخطاءنا... لا شيء نفعله مع الجمال والخلاص والانعتاق». (ص435).

إذاً, تخبرنا المرأة هنا بـدلالات العنوان، فضياع القيم العليا بات معادلاً للوصمة البشرية، مما جعل الإنسان مصدر تشويه للطبيعة، بكل مظاهر الحياة فيها! فيحلّ الدمار حيثما حلّ، حتى إن رفقته تصبح «وصمة» يلحق أذاهـا بأشد الطيور قبحاً (الـغـراب)؛ فقد باتت تلك اللفظة مرادفة للدمغة والتلوث والقسوة والعنف والأخطاء، التي يرتكبها البشر بعضهم في حق بعض، وفـي حق الطبيعة، رغـم ذلـك وجدنا بين شخصيات الرواية من يقاوم تلك «الوصمة» الـتـي هـي نقيض لكل فعل يـدل على الجمال والحرية وخلاص الروح! لكن حيوية الرواية تتجلى في فعل المقاومة، ومواجهة هذه الوصمة بالحب (كولمن، فونيا) الذي لا يعترف بالفوارق العنصرية والطبقية والثقافية...الخ

من هنا امتدت دلالات «الوصمة البشرية» لتشمل الأنا والآخر معاً، خاصة حين تحتجز من يخالفها في العرق في أقفاص عنصرية، فتعلي شأن «الأنا» على حساب الآخر!

يلاحظ المتلقي أن ثمة رغبة لدى المؤلف فـي تقديم لغة موضوعية، لـهـذا نجد «فونيا», التي عانت الكثير من الأذى، تحاول أن تبتعد عن لغة «الأنـا» الملتصقة عادة بالمعاناة الشخصية، فتنطق بلغة محايدة، تصف الحال المخزية، التي وصل إليها البشر، بعيداً عن لغة مباشرة، تحمل دلالات الإدانة والاشمئزاز والقهر، لكنها، في الوقت نفسه، لم تبرّئ نفسها، فتستخدم ضمير الغائب «هم»؛ بل نجدها تشرك «الأنا» مع «الآخـر» في حمل مسؤولية الـدمـار، لهذا استخدمت ضمير جماعة المتكلمين (نحن، وراءنا، نترك دمغتنا...) وبذلك لا تنـزّه «الأنا» ذاتها، بل تشارك الآخر وزر هذه «الوصمة البشرية».

يلاحظ المتلقي أن العنوان جاء معرّفاً عبر جملة اسمية «الوصمة البشرية», لهذا بدا لنا مستغرقاً الجنس البشري، وملحقاً به العار،

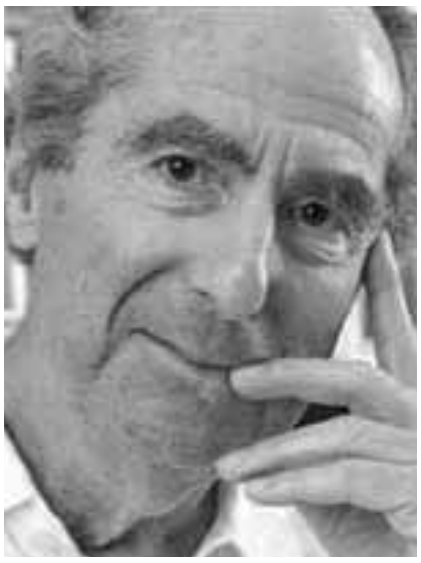

فيليب روث

إذ خُصص المبتدأ (الوصمة) بصفة باتت ملازمة لها، حتى أضحت خبراً موحياً بدلالات سلبية، تصف حالة البشر، وبذلك تبدو جماليات العنوان في كونه يحمّل الإنسان مسؤولية دمار كل مظاهر الحياة.

العتبة الثانية, المقبوس الممهّد للرواية:

فـي العتبة الثانية بعد الـعـنـوان؛ أي المقبوس الذي مهّد للرواية، والمأخوذ من «أوديب ملكاً» لسفوكليس يحس المتلقي برغبة الكاتب اللاواعية، في أن يطرح في روايـتـه إشكالية البحث عـن طـرق تنقذ الإنسان من عار «الوصمة» التي تلاحقه، فيبحث البطل الروائي عن طرق التطهّر، مثلما بحث «أوديب» الذي يسأل:

«ما طقس التطهّر؟ كيف يؤدى؟

(فيجيبه) كريون: «عن طريق نفي الإنسان أو التكفير عن الدم بالدم...»

وهكذا حـاول البطل «كولمن» أن يسلك سبيل التطهر، مثلما حاول أوديـب، فنفى نفسه عن عرقه الأسـود، وعن بيئته، لعله يجد خلاصاً، بانتمائه للآخر الأقوى (الأبيض) مادام لون بشرته، يساعده على هذا النفي! لكنه سيفشل في تجربته هذه، ولن يكون أمامه سوى السبيل الآخـر، الذي هو الدم، لهذا ستنتهي حياته بالقتل! وتتماثل مأساته بمأساة «أوديـب» الذي فقأ عينيه، حين اكتشف الحقيقة، وأنه ضحية نبوءة قدرية (أن يقتل أباه، ويتزوج أمه) وبذلك يتماهى بطل فيليب روث (كولمن) مع بطل سوفوكليس (أوديب) فيعيش ضحية عرقه، رغم تنكره له، فيعاقب نفسه أولا بالنفي من بيئته، ثم يعاقبه المجتمع بالنفي من عمله، ثم القتل، فيتطهر من معاناته بدمه!

شخصية الزنجي:

أفلح الأستاذ الجامعي «كولمن» في نفي ذاته عن عرقه «الزنجي» لكنه حين شارف على التقاعد، وأصبح عمره إحدى وسبعين سنة، اتُهم بالتمييز العرقي، ففي إحدى الـمـحـاضـرات تغيّب طـالـبـان، فتساءل «كـولـمـن»: هـل يـعـرف أحـدكـم هذين الطالبين؟ هل هما موجودان بالفعل؟ أم هما شبحان spooks؟ فيما بعد في ذلك

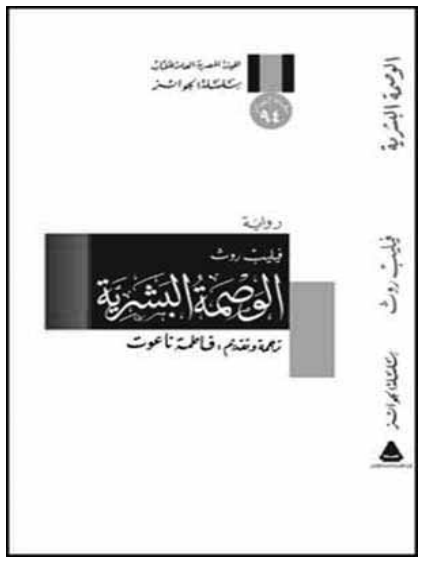

رواية "الوصمة البشرية"

اليوم، أدهشه أنه تلقى مكالمة من خليفته، عميد الكلية الجديد، يعلمه بوصول إشعار بتورطه في قضية عنصرية، رفعها ضده الطالب والطالبة المتغيبان اللذان تبيّن أنهما سوداوان..." ص33

على الرغم من أنه دافع عن نفسه موضّحا للعميد الدلالة اللغوية، التي يتبناها للفظة spooks، فهو استخدمها بمعناها الأولي المألوف (الطيف أو الشبح) ولم يكن لديه أدنـى فكرة عـن لـون الطالبين، وزاد في التوضيح، بأنه كـان يعلم، منذ خمسين عاماً مضت، أن spooks مصطلح مسيء يوجّه للسود، لكنه الآن نسي تماماً، وبذلك دمـرت الدلالة العنصرية لهذا المصطلح مستقبله المهني، وكيانه على الصعيد النفسي والاجتماعي، وصبغ مصيره بالقتامة والإحباط، مما أدى إلى مقتله.

يـعـايـش المتلقي فـي هـذه الـروايـة صنوفاً من التحيزات العنصرية، تجاوزت نطاق الجيرة، حتى أنها لطّخت تصرفات المسؤولين في الأماكن العامة، فوصلت إلى دور العبادة، فقد اعترض الأسقف في الكنيسة قائلاً: «أرى أن لدينا بعض الأسر الملونة، ههنا، وسيكون علينا أن نفعل شيئاً حيال ذلك... (وبعد التشاور) رأى أن الخدمات المختلفة ومدارس الآحاد للملونين، لا بد أن تدار خارج ناموس الكنيسة الأساسي في منازل العائلات الملونة.» ص229

يفاجأ المتلقي بأن رجل الدين يفتقد، هنا، النظرة التسامحية المحبة للإنسانية، التي تبشر بها المسيحية، لهذا يتخذ قراراً عنصرياً، فيعزل الملونين عن البيض في أماكن الصلاة! فيغلق انفتاح فضاء الكنيسة فـي وجوههم، ويـؤسـس لـقـرار عنصري، الدين براء منه؛ إذ يفصل بين الناس، في أثناء صلاة تتجه لرب واحد، وذلك بتحويل بيوت الزنوج إلى كنائس مخصصة لهم!

كما عانى الطالب «كولمن» من تعاطف الأساتـذة مـع زمـلائـه البيض، لكن ذلك التمييز في المشاعر (لا بالعلامات) شكل دافعاً له، يحفّزه على التفوق، مما يجعله

البقية.....ص22

علي جمعة الكعــود ينذر شعــره للعشق

هدى سلمان

«نـذُر العاشـق» ديوانٌ جديدٌ يزخر بقصائد استثنائية تشكل منعطفاً في تجربة الشاعر علي جمعة الكعـود؛ فالقصائد تتسم بحداثوية متفردة تحلق بالقارئ إلى عوالم غير مألوفة في دواوينه السابقة، حيث العناوين المطوّعة للّغة والسائرة على طريق الانزياحات؛ مثل: تيممت بالشوق\ توْسعني حباً\ النفس أمّارة بالفراق-وغيرها..وعند الغوص في ثنايا (نذر العاشق) تتحفنا اللفظة الشعرية، وتتملكنا الدهشة التي يقوم عليها هذا المنجز الإبداعي؛ فيقول الشاعر الكعـود في قصيدته محاولتان للعشق: \حين لقائي..سألقّنها الحبّ..أعبّد طرق الروح لتأتي.. حاملةً إكسير بقائي\..حيث الحبيبة حاضرة في قصائد الديوان برمتها؛ فهي التي تواري جثمانه بالقصائد لا بالتراب، وتقرأ شعراً على روحه في قصيدة تفاحة آدم؛ بعد أن تمثـّل في جثة روحـه؛ وتعمده بطهارتها؛ وتعصره بكؤوس يديها في قصيدة توْسعني حباً..أما في قصيدته عُصي الهجر فيقول: \ كسرتْ قواعد مهجتي.. خرجتْ على القاموس وارتكبتْ لغاتٍ لستُ أفهمها..رمتـنـي في غياهب حسرتي. وتوهّمتْني زيرَ عشقٍ لا يُشقُّ لهُ قصيدٌ ...\فالحب أحد الظواهر المندثرة التي يبكيها شاعرنا في عصر مادي لاوجود فيه للعشاق لدرجة بيعه في مزاد علني .. يقول في (مزاد هواك): \أنا لم أؤمّـنْ على خافقي..فاحجزيهِ وبيعي دمي قطرةً.. قطرةً في مزاد هواكِ..ضعي كلّ شوقي (بقاصةِ)حبّكِ برهان عشقٍ وخطّي بعينيكِ صكّ امتلاكيْ \فالمرأة الحبيبة عند الشاعر علي جمعة الكعـود هي نفسها الأم في موقع آخر، وتحديداً في قصيدته:ثكلتْني أمي \حيث يصب جام غضبه على هذا الكائن الذي كرّمته الأديان ويشير إليه ببنان شعره راثياً نفسه المعذبة:\ولدتُ قتيلاً وأمي هي القاتلة..وحين الولادة عمداً بصقتُ على القابلة..ورحتُ ألومُ نطاف أبي وسلالة جدّي وكلّ الذين توالوا على دفتر العائلة..\كما لا يخلو الديوان من الإنسانية المفرطة كما في رثائه لأخيه سلمان الذي قضى شاباً بمناسبة مـرور ثلاثة أعـوام على رحيله؛ وكذلك في رثائه لمحمود درويش..ولكن القصيدة الفارقة؛ في الديوان حسب رأيي الشخصي هي القصيدة الأخيرة والمسماة \رثاء القصيدة\ حيث لا مكان للشعر في هذا الزمن الرافض لكل ما هو جميل..يقول فيها: \وما عاد القريضُ يجودُ فاصفرّتْ براعمُ فكرةٍ كانتْ تزيّنُ غصن ذاكرتي..تثاءبتِ الحروفُ، وغطّ في خجلٍ عميقٍ صمتُ شعري..حبرُ أحلامي تجمّدَ في عروق قصيدةٍ تأبى الولادةَ والبحورُ تبخّرتْ..ما عادتِ الأوزانُ قادرةً على عبء الكلام...\ وأخيراً فالشاعر علي جمعة الكعـود في هذا الديوان يرسّخ ذاته في مسيرة الشعر السوري الحديث لأنه شاعر استثنائي...

نذرالعاشق \ علي جمعة الكعـود \منشورات رابطة نصيبين للأدباء السريان 2,12- قطع وسط 1..ص

قراءة في رواية «تعالي نطيّر أوراق الخريف» للكاتب حسن حميد

وجيه حسن

«أدعوكِ إلى المجيء..
لنطيّر معاً،
مع الآخرين،
أوراق الخريف..
النّاشفة»

يزعم الحداثيون، أنّ الكتابة ليست إلا حواراً للكتابات الأخرى؛ فكأنّ أيّ كاتب حين يبدع ويكتب، لا يكتب جديداً، وإنْ ظنّ بينه وبين نفسه أنه يبدع ويجدّد، لأنّ «اللغة ميراث مشترك بينه وبين غيره من الكتّاب الآخرين»، ولأنّ الأفكار مطروحة في الطريق – على حدّ تعبير أستاذنا «الجاحظ» – إذ يمكن لأيّ من أرباب حرفة الكتابة التقاطها واستعمالها فيما يستعملها هو.. ومن هنا فإنّ أيّ نص «هو تشرّب وامتصاص وتنسّم ومُحاذاة ومُلامسة ومُماسّة ومُداعبة ومُحاورة ومُعارضة ومُقابسة من نصوص أخرى».. أما شيخ علم الاجتماع «ابن خلدون»، فقد عالج فكرة التّناص أو المُقابسة بفكرية عالية، ودقة لافتة؛ حيث ذهب إلى أنه، على الأديب أنْ يقرأ كثيراً، ويحفظ أكثر، ثم ينسى ذلك ويتناساه، ليستقرّ في لا وعيه، فيغترف منه عند الكتابة، فيظنّ ويزعم أنه جاء بالجديد كلّ الجدّة، بينما هو لا يعدو كونه صورة لمحفوظاته ومقروءاته كافة! أوليس هذا هو «التّناص» أو «التّناصيّة»، «التقاطع» أو «التواصل»؟ أليس هذا هو «التّناص العائم أو المُذاب»، الذي يكاد لا يعرفه أيّ محلل للإبداع؟

وحتى لا أطيل، فنحن أمام نصّ روائي إبداعي واقعي رومانطيقي، بعنوان «تعالي نطيّر أوراق الخريف»، لمبدعه الروائي والأديب «حسن حميد»، والرواية من «266 صفحة» من القطع الكبير، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، 1992، أفردها المؤلف في خمسة عشر فصلاً، كل فصل أُتبِع بـ «حاشية»، على عدد الفصول كلها.. وللكاتب عددٌ جمٌّ من الروايات والمجموعات القصصية الماتعة.. فالرواية فيما قرأتُ في تضاعيف أسطرها، وفيما وراء الأكَمَة، هي رواية – كما ورد على غلافها الأخير- (تؤرّخ لنشأة المخيم الفلسطيني، ابتداءً من حالة أنموذج ممثلة بـ «مخيم جرمانا»، وتتغنّى بالشخصية الشعبية، كاشفة تبدّل القيم وممجّدة النبيل منها، بخاصة الشهادة والصدق والوفاء، وتركز بصورة خاصة على فضح الممارسات الفاسدة...).

إنّ رصد الكاتب الفلسطيني «حسن حميد» الواقع المخيّماتي المحيط به، أو الذي عاش مأساته كغيره من اللاجئين الفلسطينيين، واتخاذه مادة حيّة لأدبه الروائي في نصه «تعالي نطيّر...»، وانتهاجه طريقة واقعية في معالجة الواقع المأساوي للاجىء الفلسطيني، في أحد المخيمات «أو في كلها»، وخلق شخوصه وأحداثه وحيواته، كل هذا مجتمعاً وسواه، يعطي الرواية قيمتها الأدبية.. ويرى «هنري جيمس»، أنّ «هناك رواية جيدة تتصف بالحياة، ورواية رديئة لا تتصف بالحياة».. والروائي السوري «حنا مينة»، يقول في كتابه القيّم «كيف حملتُ القلم»، حول موضوعة الرواية بشكل عام: «ما من إنسان يكتب رواية دون أن يتوفر له الإحساس بهذه الحقيقة التي تقوم على التجربة الخاصة، على الممارسة، على المعاناة، وعلى الواقع الذي فيه نقوم بتجاربنا ومعاناتنا وممارساتنا جميعاً، ثم على الشخصيات الواقعية، وعلى «الحكاية» التي هي أهم نقطة، وعلى الحدث الذي يمثل الحياة..». وأزعم أنّ رواية الكاتب «حميد» هذه، قد حازت هذه المعطيات جميعاً.. فالكاتب أجاد تصوير «مخيم جرمانا» - الواقع إلى الجنوب من دمشق - شكلاً ومضموناً، الذي لجأ إليه الفلسطينيون، بعد نزوحهم المرير من أرضهم الطهور، عندما دهمتها أظفار ووجوه همجيّة عنصرية حاقدة... يقول المؤلف في مطلع الرواية: «على مقربة من بستان الدّبوسي ابن الشاغور، حطّ رهط من أبناء قرى «سهل الحولة»، وكان الناس طيّ حيراتهم وقلقهم وتأففهم وتعبهم وحزنهم أيضاً.. حطّوا رحالهم قرب «مزبلة» مدينة دمشق الجنوبية، هذه «المزبلة» التي لا تبعد كثيراً عن قرية «جرمانا» المعشّشة كعصفور صغير داخل غوطة دمشق»، (ص7).. ومن يتتبّع فصول الرواية يقع على تصوير الشخصيات والأماكن تصويراً أميناً مقنعاً، من حيث الشكل الخارجي والمضمون، في بانورامية لافتة، لأنه تصوير مرهف دقيق، يجعل القرّاء يشعرون بمعاناة هؤلاء الأشخاص، بأفراحهم النادرة وأتراحهم الباهظة؛ بل يتعاطفون مع حكاياتهم وظروفهم البائسة الأليمة، وليس يملك مثل هذه المقدرة وهذا التواشج بين الكاتب والقرّاء، سوى الروائي الحقيقي، المتمكن من عمله الأدبي، وتكنيكه الروائي؛ فنحن في الرواية إذن أمام شخصيات من «لحم ودم» كما يقول الكاتب «عمر فاخوري».. ومن يقرأ أعمالاً روائية لعدد من الروائيين العرب الجدد، فسوف يجد أنّ «الحكاية والتاريخ» يشكلان قلب الكتابة الروائية؛ بل يصنعان عمودها الفقري، وهذا ما أخذت به الرواية في تكنيكها ولُحمتها.. وأدّعي – كغيري – أنّ هذا هو الذي جعل الرواية العربية – عموماً - قابلة للقراءة والانتشار، حتى للترجمة إلى بعض اللغات الأخرى.. والآن ما موضوع هذه الرواية؟ بل ما حكايتها أو حكاياتها؟ وما التاريخ الذي توكأ عليه الكاتب، ليجعلها جديرة بالاقتناء والقراءة؟ إنّ الرواية تتيح أمامنا – نحن القرّاء – أكثر من قراءة، وكلّ منها تملك مسوّغها الخاص.. إنّ موضوع الرواية، تأريخ نشأة ومآل المخيم الفلسطيني، وتصوير حياة البؤس وشظف العيش فيه، إضافة لتصوير الممارسات الفاسدة لبعض المسؤولين وفضحها، أولئك المنوط بهم أمرُ رعاية المخيم واللاجئين فيه، ورعاية الفدائيين رعاية إنسانية وطنية صادقة.. وإلى جانب الحكاية الأساس، هناك حكايات صغيرة متواترة، لأشخاص من الجنسين تبرز فيها حنظليّة العيش، واسوداد الأيام، ونتفٌ من الفرح المهاجر.. وهذه الحكايات الكثيرة، جاءت ممتعة شيّقة؛ بل هي بالواقع تعدّ لوحات بانورامية مشهدية متعددة، يجمع بينها جميعاً التساوق والتلاحم والاندماج، خاصة إذا ما عرفنا أنّ للكاتب «حسن حميد» إفادته الواسعة من العين السينمائية، وبناء المشهد، وتقاطع المشاهد، إضافة إلى أنّ الرواية تعجّ بالمرويّات الشعبية والعادات والتقاليد الفلسطينية، كما اعتمد الكاتب على الوصف والتحليل، وهما المقوّمتان الأساسيتان للرواية الواقعية.. وكأنّي بالكاتب وقد اعتمد بروايته طريقة فنية متميزة، يمكن تسميتها بطريقة «الضّفر»، فهو كتب عن كلّ حكاية على حدة، وعن كلّ شخصية على حدة، ثم ضفر هذه الحكايات وتلك «الحواشي» معاً – إضافة إلى كثير من الاسترجاعات «الفلاش باك» الضرورية، ومتابعة السّرد الروائي خطواته بتنامٍ واضحٍ للأحداث – لتكوّن معاً جسم الرواية العام، مع باقي العناصر... فهذه أولاً حكاية الدّبوسي، ابن الشاغور الذي استقبل - في بداية اللجوء إلى أطراف قرية «جرمانا» - اللاجئين من الجنسين، بمودّة غير عادية، يقول الكاتب: «الدّبوسي أبو رشاد، حين رأى جمعهم، وسمع صخبهم، وهرجهم، وبكاء أطفالهم، استنفر أولاده ونساءه وأجيره «عصمان»، وقال لهم: «إنهم الفلسطينيون»، وتقدم نحوهم مع أولاده وأجيره، وقد أحزنه المشهد.. ووعدهم أنه سيرسل إليهم الأطعمة.. واستقبل نسوة المخيم وصباياه، وأعطاهنّ الماء من مضخّة المياه التي ركّبها فوق بئره..»، (ص 8 , ص11). وهذه حكاية الصبية ««هاجر الشامان» التي وضعها أبوها خادماً «صانعة» عند ضابط اسمه «أشرف الغبوري»، يسكن حي المهاجرين في دمشق، كانت البنت في الثامنة من عمرها حين غادرت المخيم إلى بيت الضابط، ولم تعد إليه إلا وقد ناهزت العشرين..» (ص17). و «مع إلحاح أسئلة والدتها، باحت البنت بسرّها: إنّ الولد «فواز، ابن أشرف الغبوري»، عَطَبَها»، (ص20, ص(21. وعلى طول «الحواشي» الخمس عشرة الملحقة بالفصول، يطالعنا الكاتب بحكاية «خنيفس الطلال» مع المرأة المسمّاة «الهلالية»، التي يعشقها ويلفي عليها ليلاً: «وهو الرجل العازب المنصرف إلى اللهو.. يقول للذين يتكلمون في السياسة، والآمال، وضياع البلاد والأحلام، والمستقبل الزاهي القادم: يا جماعة أرجوكم، ما حدث.. خازوق وأكلناه، كفى.. وعندما يستوضحونه, يقول: «معلمي الشوبكي»، الله يرحمه، كان يقول لي: يا «خنيفس» النفخ مهما اشتدّ، ومهما ازدادت حرارته، لا ينضج الخبز، النار وحدها هي القادرة على ذلك..» (ص29 , ص30). وهاتِهِ حكاية «أم الشلبي» زوجة «مصطفى الشلبي»، وتحت إلحاح جارتها «كمالة العبدو»، حدثتها عن ليلة زواجها الأولى، قالت: «إنّ ليلتها الأولى، ليلة الدّخلة، كانت ليلة ولا الليالي كلها، ليلة صعبة مظلمة، بدا لها لحظتئذ رجلاً غير عادي، أشبه بالمارد، قال لها: «مساؤُنا ندى يا شتوة»! أجابته بخفوت: «إنْ شاء الله»، فتمتم ناهراً: «تجرّدي»، وتجرّدت المخلوقة..» (ص33 إلى ص35). وهناك حكاية «فضية العطا لله» التي حزنت حزناً عالياً على استشهاد ولدها وفلذة كبدها «دحام».. وكذا حكاية «ريمة الجاسم»، ابنة «مسعود الجاسم» بائع أكياس البطاطا بالمخيم، وزوجة «عطية»- أبو فهد، الذي صار حارساً لمقبرة المخيم.. وثمّة حكاية «شمعة العبد» – إحدى نساء المخيم الجميلات – التي حدثت «بديعة» بائعة الفلافل بالمخيم عن حكايتها الطريّة الهائئة مع الأفندي «كامل الحسين»، أفندي «سهل الحولة» وقراه، الذي صادفها يوماً وهي تستحمّ في غدير «النبي يونس»، وأخيراً قالت لها «تلك الحادثة

حسن حميد

مع الأفندي، وذلك الغدير.. لا أنساهما أبداً يا بديعة» (ص 132).. أما حكاية «أبو حسن الشلبي»، وهو بطل الرواية السلبي - إضافة إلى بطولة المخيم نفسه - فحكايته حكاية، وروايته رواية، الذي «بدا رجلاً يدير الرأس فعلاً، يتكلم أكثر من لغة، كان صلة الوصل ما بين الأجانب والمسؤولين في دائرة الشؤون العامة والفصيل.. وحين بدأ يصعد في المراتب، استطاع بجهوده الخاصة أن ينظم كثيرين من الفلسطينيين وغير الفلسطينيين في صفوف الفصيل، ولم تمضِ سوى سنوات قليلة جداً حتى تسلم منصب الرجل الأول في الدائرة..»، (ص (160.. لكن ما أشدّ ما يذكّرنا «الشلبي» بقول «بولس» الرسول: «لماذا أفعل الشرّ الذي لا أريد، ولا أفعل الخير الذي أريد»؟ فـ «أبو حسن الشلبي»، أضحى عن جدارة وحسن قيادة «زير نساء»، ومسؤولاً ساقطاً هزيلاً؛ إذ صار كلّ همّه وكفاحه المسلح، جمع الأموال، وزيادة غلّته من البنايات والمزارع والمحلات التجارية وسيارات الأجرة والشحن.. وتصويب سهامه نحو المرأة لاصطيادها، وطلب الهناءة معها، حتى أنّ «أميرة» زوجة «عبد الجواد يوسف» – الرجل الثاني في الدائرة – لم تنجُ من غرامياته وتهتكاته، تقول الرواية: «حقاً كانت أميرة تملك صدراً أبيض، موشّى بلون زهري، على درجة عالية من الجمال والجاذبية، صدراً منفلتاً لا تشدّه الأحزمة والأقمطة النسائية المعروفة، دائم الرّعش والرجفان». (ص (174. وأما حكاية «أبو حسن الشلبي» مع الصبية اللبنانية «إلهام النوفي»، التي عيّنها سكرتيرة خاصة له بالدائرة، فللقارىء معها بالرواية شؤون وشجون، خاصة عندما صرف «أبو حسن الشلبي» من الخدمة الشاب «ناجي درويش» ظلماً وتجنّياً، ليعيّن مكانه الصبية «إلهام»، هذه الفتاة اللعوب المِغْناج، التي تعرف من أين تؤكل الرؤوس والقلوب والجيوب.. لكن مع مرور الأيام تنامت قصة حب وارفة الظلال عميقة الأغوار، بين «إلهام وناجي»، (لقد أحبّته، فأخلص لها، بعدما أخبرته أنه يساوي عندها ألفاً من «أبو حسن» الشلبي.. قالت له: لقد أحببتك يا ولد.. افهمْها).. وفي الفصل الثالث عشر من الرواية، نقرأ خبر رحيل السكرتيرة «إلهام النوفي» إلى ألمانيا، بعدما توادعت مع حبيب القلب «ناجي درويش»، (بالدموع الكثيرة، والعناقات الطويلة، الحارّة)... ومن هناك شرعت تتحفه برسائلها النديّة النابعة من شغاف القلب، وها هو يكتب لها رسالة جوابية، لكأنّ كلماته فيها جاءت بياناً صارخاً لما أراد المؤلف إيصاله للقرّاء: « .. يعذّبني يا «إلهامي» ذلك الطفح، «أبو حسن الشلبي»، وأمثاله، وقد اعتادوا صفحة جلدنا.. وباتوا صورتنا، لكنْ مما يثلج الصدر، أنهم باتوا كأوراق الخريف، مرميين – هنا وهناك – لا تثير الناس خطبُهم، ولا استقبالاتُهم.. ولا صورُهم الضاحكة.. لذا أدعوكِ إلى المجيء.. لتكوني إلى قربي، لنطيّر معاً – مع الآخرين – أوراق الخريف الناشفة.. ولنستقبل الزاهي من أيامنا.. فحياة المرّ لا تدوم..» (ص 234). وتأسيساً على ما سقناهُ بهذه القراءة المتواضعة، فأيّ طموح يداني طموح الروائي الجادّ، الذي يسعى إلى التعبير الصادق والواقعي عن شريحة اجتماعية ما، ضمن حيّزٍ ما، أو عن الحياة كلها؟ وختاماً، فإنّ لكتابات «حسن حميد» نكهة لغوية خاصة متميزة، وواقعية اتسمت في روايته بالإيجابية، لأنّها تؤمن بالإنسان الفلسطيني الواعي الصّريح، وتشيد بصبره ومعاناته وقوته وعمق تطلعاته إلى غدٍ فلسطيني أخضر أو أزرق، إليه يسعى، ونحوه يتّجه... «فالفلسطيني في المخيم يتطلع دوماً إلى مستقبله.. إنّه قلق عليه، يبحث عنه ليل نهار، فالجميع في المخيم متفقون، أنّ خلاصهم في مستقبلهم لا في ماضيهم...»! وأخيراً، فإنّ الرواية امتازت بقدرتها العالية على نقل رؤية الكاتب للحياة والمجتمع، من خلال تصوير حياة مخيم صغير، وردود أفعال شخوصه وقاطنيه، فهمْ أحياء يُرْزقون ويتنفسون ويضطربون ويصطرعون ويتعايشون، وقد استطاع الروائي «حميد» أنْ يصوّر كلّ ذلك تصويراً حيّاً واقعيّاً مؤثراً مقنعاً.

د.مصطفى عبد القادر.. والمطرقة اللينة..

عبد الله الشاهر

المطرقة اللينة مجموعة قصصية للقاص الأستاذ مصطفى عبد القادر، وهي من الأعمال التي تتسم بحس ساخر ممزوج بمرارة لاذعة وكوميديا موجهة باتجاه موقف يوظف لصالح البنية الاجتماعية التي تمثل محور المجموعة بكاملها.

من خلال العنوان «المطرقة اللينية» تلحظ أن هناك شيئاً ما يجب أن تضغط عليه، هي مطرقة لا بد أن تتواجد لكنها تنبه، تشي، توجه، تشير.. أو ربما تخز وخزاً لكنها لا تجرح أو تشهر، والمتأمل في هذه المجموعة القصصية يتحسس الهم الاجتماعي الطاغي على كامل قصص المجموعة، كما يتخللها هم سياسي يلوح بين الفينة والأخرى في ثنايا العمل، وذلك من خلال قصة «العلم الأبيض» التي تعد من القصص المتميزة في المجموعة، وتتحدث عن «أن ملكاً في زمن ما أراد تغيير لون علم المملكة، فاختار اللون الأبيض الصرف، وأمر جلالته بأن تبقى أعلام الوطن مرفوعة على سواريها، ولا تنكس مهما كانت الظروف، ومنذ ذلك الحين لم يتجرأ الأعداء على مهاجمة المملكة»، كما خص القاص الهم العراقي بقصتين؛ الأولى قبل الاحتلال والثانية بعد الاحتلال، أما بقية المجموعة فيكشف القاص فيها أوجه الزيف والنفاق ببساطة وعفوية كما في قصة «صورة للذكرى» و«دينار ودولار وعدالة» وكذلك قصة «أبو الجعل والحمار الذكي» و«فتكوبي وسباق مشبوه» و«شارع الحرية».

أما في المجال الاجتماعي الصرف فيكتب عن الرجل المتصابي من خلال قصتي «نصاب، ودلال»... في كل المجموعة يتحسس القارئ التكثيف الشديد في المفردة، والاختزال في الجملة، والبراعة في السرد والحوار، من خلال عين خبيرة بالتقاط الموقف وتوظيفه بمفارقات تدهش القارئ أو تحيله إلى متأمل، أو ترسم ابتسامة خفيفة على محياه.

المجموعة بكاملها ظلها خفيف بالرغم من الحزن الذي يغلفها، وقد أحسن القاص الاستفادة من التراث حين استطاع أن يؤنسن الحيوان، وما حمّله من صفات أسقطها على واقع افتراضي من خلال حواريات موجزة.

إن القاص وفي غالبية قصص المجموعة، حاول أن يدخل الزمان والمكان لا بحيزهما الواقعي، وإنما بالومضة الدلالية التي تعكس صورة الأشياء كما يراها القاص، وتحولها إلى حدث مفاجئ يتشظى ليحقق كشفاً جديداً لأفعال ورودها، لتدل على حالات مختلفة تصب في غاية يخطط لها، ويستدرج القارئ ليستنتج أو يفسر أو يقرر؛ يقول في قصته كثافة الحضور «صعد المحاضر إلى منصة المركز الثقافي قائلاً: أيها الجمهور الكريم، حدّق في الصالة.. سكت قليلاً ثم أردف... عفواً... الأستاذ مدير المركز الثقافي المحترم، حضرة المستخدم... مساؤكما سعيد، وبدأ بالمحاضرة، وفي قصصه «الصعود إلى الأسفل، والمشي على اليدين، وشواهد القبور» نلحظ رفضاً واضحاً للسلوك الاجتماعي الخاطئ، والهجوم على حالات الانحراف، ومع هذا فإن هذه القصص لا تفقد الأمل في تنامي حدثها بالوصول إلى رؤية مشرقة، بالرغم من أن الأفكار التي يطرحها القاص أتت متباينة؛ فمرة تراها على شكل صرخة، ومرة تأتي على شكل حالة فرح غامر، وأحياناً على شكل ومضة كيّ قاطعة.

في العموم لقد حمّل القاص شخصيات قصصه كماً هائلاً من الهموم والأحداث التي فاقت حجم المجموعة، وتراوحت ما بين الهم الشخصي والهم القومي؛ مروراً بالهم الوطني وقضايا الفساد وتداخلات الهموم الاجتماعية، وقد اجتهد القاص في أن يجرد شخصيات قصصه من صفتي الزمان والمكان ليقول إنها, أي الشخصيات, تنسجم مع كل زمان ومكان، وهنا نلحظ من ذلك أن القاص يريد أن يقول إن القهر الاجتماعي يبقى إلى يوم ما، أو أنه يتجه إلى حيث لا تدري، وهي إشكالية قد لا نوافق القاص عليها..

في الجانب الآخر نجح القاص في أنسنة الأشياء الجامدة من خلال ما حملها من أدوار حوارية وأفكار هادفة أدت مهمتها ووظيفتها في البناء القصصي وتراتبية العرض.

تمكن القاص من إظهار قدرته في استبدال أسلوب الإطالة والرتابة بأسلوب الاختزال والتكثيف، وحقق حضوراً واضحاً بتحليه في الإيحاء المباشر وغير المباشر، كما استفاد من حالات الدلائل التحريضية؛ حيث استطاع وبحرفية المزج بين الرمز وتداخل العواطف.

كما استطاع القاص التوفيق بين البدايات والنهايات بحيث يشعرنا بترابط الفكرة مع تتابعها وأحجتها كما هو الحال في «المطرقة اللينة، والمايسترو، وزيارة مزعجة، وعلي بابا..» وفي قصته «عين الرقيب» التي يقول فيها: «قالت الورقة البيضاء للقلم معاتبة: إلى متى ستبقى قبلاتك لي باردة؟ رد القلم متحسراً، آه يا حبيبتي.. أخشى عين الرقيب، متى نستطيع فك عين الرقيب؟ عندما يفك الرقيب عقدة خوفه منّا!».

عموماً, مجموعة «المطرقة اللينة» تنتمي بكليتها إلى القصة القصيرة جداً، وهي ضمن هذا التوصيف تحتفي في مجمل نصوصها بالتخلص من الحمولة السردية، والصنعة اللغوية، ومن التقليد في البناء.. لكنَّ المجموعة بكاملها كذلك مثقلة بحمولة معنوية، وهي أكبر من حجمها كلياً.

بالرغم من أن المجموعة تستفز القارئ، وتحرّك دواخله، وقد تحرضه على تحديد موقف، من خلال ما طرحه القاص بشكل غير مباشر؛ إما بالتأويل تارة، أو بالمفارقة للمألوف والعادي تارة أخرى.

كما أن القارئ المتفحص للمجموعة يجد أن محتواها بالكامل مجموعة أفكار كانت تضغط على مخيلة القاص، فأخرجها على شكل زفرات وآهات وتنهدات بحوارية مقتضبة، لم تسمح للجمل بأن تطول، أو للسرد بأن يدخل في التفاصيل؛ فيأتي التكثيف في أعلى درجاته؛ وذلك بقدر زفرات القاص وآهاته.

في الختام يبدو أن الاشتغال على عنوان المجموعة «المطرقة اللينة» قد شكل نصاً موازياً للنص القصصي، أو ربما يمكن أن يقرأ كنص خاص بمعزل عن المجموعة؛ لأنه يحمل بعداً دلالياً وبعداً تأويلياً؛ فعناوين النصوص القصصية في كثير من الأحيان كانت تشكل استطالات للعنوان العام، ورأى أن المناص قد نجح في اختيار عنوان المجموعة.

إن المجموعة عموماً إسهام كبير في مجال القصة القصيرة جداً، وهي جهد واضح لإبراز المفهوم والدلالة لتأكيد حيوية القصة القصيرة جداً بين الأجناس الأدبية..

حَـيْـرةُ السّنديان وأرقُ الياسمين

غسان علي حسن

فاحَ الشذا من ياسمينةِ «جِلّقٍ»
عبرَ الدُّهورِ ....فعطَّرَ الأنساما
لوْ خيّروا «رُضوانَ» بيْنَ جِنانِهِ
والشامِ لاختارَ الشـآمَ مَـقاما
أحبيبتي ..قد جاوز السيلُ الزُّبى
فإلامَ يغـفو المشـرقيُّ إلامَ!!
«إيروسُ» و«كيوبيدُ» منكِ تعلّما *
عِشقَ الجمالِ فطوَّبـاهُ إماما
ما للخفافـيشِ العُراةِ ..بِعُهرِهمْ
وبأمرِ «يهْوا» يُخـرقونَ الشّـاما

غازَ الشّآمِ يفوحُ في عينِ اللظى
يا نارُ كوني جُـنّـةً ورِهـاما
الحاقِدونَ بغَـيِّهِـمْ قدْ دنَّسوا
إنجيلَـنا والذِّكْـرَ والإسـلامـا
يستأسِـدونَ....فيَخرقونَ خميلةً
رقَّ القَـتادُ بها فصار خُزامى *

بعْدَ الصِّيامِ يُبَسملونَ ويذبحونَ
صبِـيَّـةً كي يفْطروا أرحاما !!
لو أُخْبِرَ الشيطانُ عنْ إجْرامِهِمْ
لبكى، وتابَ ، وطلَّـقَ الإجْراما

ما إثْـمُ «ليلى» إذ تبوحُ بحُبِّها؟!
أفْتَوا بهـدْمِ الحُـبِّ حيثُ أقاما!
كم ظبيةٍ هُتِكَـتْ وسالَ نجيعُها
بهُـراءِ ذئْـبٍ يدَّعي الإلْـهاما
لو قامَ «إخناتونُ» في زمني لَما
عبَـدَ الإلـهَ وكسَّرَ الأصـناما *
ولعادَ «بـوذا» عنْ تَقَشُّـفِهِ إلى
ملكٍ ، وغـيـدٍ ، خمْرةٍ ، ونـدامـى*
يا صاحِ ..ما بالُ الجهالةِ والخنا
في حِقبَةِ التلمودِ صار لِزاما!
أضحى رحيقُ الزعفرانِ مُدنّساً
وضياءُ خَـدِّ الزّنْبَرْقانِ ظلامـا!!
تُفٍّ على زمنٍ يُقزِّمُ نخلةً
عِملاقةً ، ويعَـمْـلِقُ الأقـزامـا

واليومَ ..يُنتَـزُ هامُ مَنْ ملأ الدُّنى
نوراً، وصلّى للعقولِ، وصاما
ذبحوكَ يا شيخَ المعَرّةِ عندما
صاغوا من الذبحِ الحلالِ نظاما!!
شيخَ المعرَّةِ ..أنتَ من وسِعَ الحِجا
وتَخِذْتَ منْ أرَجِ العقولِ ندامـى
مَنْ حزَّ هامَ أبي العلاءِ عشيَّةً
عنْدَ الصّباحِ سيهـدِمُ الأهـرامـا

صُلبَ الجمالُ وغاضَ عِطرُ المصطفى
واليـوْمَ في حلبَ الأبيّـةِ قامـا
أرنو إلى «الشَّهباءِ» وهْيَ جريحةٌ
رُغْمَ الجِراحِ تُعطِّرُ الآجاما
«لِقُوَيْقِـها» باحَ الهزارُ ولمْ يزلْ
عنْ سيفِ «سيفِ الدَّولةِ» الإقْداما
بسِنانهِ صرَعَ «الدُّمُستُقَ» في الوغى *
وسقاهُ منْ كأسِ الحِمامِ حِماما
كمْ عنْدلٍ شغَلَ الدنى برنيمهِ *
وأقامَ فوقَ السابحاتِ خِصـاما !!

منْ سِحرِكِ الفتَّانِ باحَ البلبلُ الشـ
ادي «صباحُ» وأبدعَ الأنغـاما *
ما سامَ دُرَّكِ حاقِدٌ عند الضحى
إلاّ وأمسى للبزاةِ طـعاما
وغدا ستنضُجُ شتْلةُ الكرْمِ التي
ما اخضوضلتْ إلاّ بدَمعِ يتامى
وسنُخرِقُ اللبلابَ في روضاتنا
ونُـبَلسِمُ الأوصابَ والآلامـا
يبكي الشّهـيدُ على شهيدٍ إذ رأى
مَنْ تاجروا بدمائهمْ حُـكّـاما

إيروس وكيوبيد: إله الحبّ عند اليونان والرومان ، القتاد: شجر صلب له شوك حاد، الخزام والخزامى : نبات له زهر طيب الرائحة ، إخناتون: أول من نادى بإلهٍ واحدٍ لا يُرى ، بوذا: ابن ملك ترك الملك وتقشف في البراري يبحث عن الله ، الدمستق: قائد روماني صرعه سيف الدولة ، صباح: صباح فخري، ومن شغل الدنيا: المتنبي

ما بين دجلة والفرات

منير محمد خلف.

الكهربــــاءُ تمادَتْ
فتــاةً في الدرب ظلّي
فيــا صديق المراثي
أنزتَ في الجذبِ حقلي
وقد قطفتُ غيومـــاً
فمــا وجدتُ كمَخـلِي
في الحبّ يرسم نهــراً
فهـــل رأيتَ مَحَلّي؟
يُجـزُ بالرفعِ نصبــاً
وحالُــه قطْـعُ وَصْلِ
أيّ القتيلين فينــــا
تراه جــاء لقتـــلِ؟
فهل رأيت غريقـــاً
على الفرات يصلّــي ؟
وهل رأيت غريبـــاً
قل لي بربّــك قلْ لي ؟
تحومُ حول يديـــــه
فراشُ حبٍّ ونبـــلِ
إن كنتَ ناولتَ مثــلي
كؤوسَ ضوءٍ وفـــلِّ
فأنتَ في العشق صوتي
وليس مثلك مثـــلي
يا دجلةَ الخير ولّـــى
زمانُ حبٍّ ووصـــلِ
حلاّجُ نبضك يبكــــي
على نـــزاعٍ مُـــذِلِّ

يا شهدَ روحيَ خذنــي
فداكَ قلبي وعقــــلي
وشامخي ثمّ سهلـــي
وكــلّ علمي وجهــلي
خذْ موسمي بحــــلالِ
فأنتَ في الحبّ أهــلي
حصادُ عمريَ قمـــحٌ
يجــــرّه خيطُ نمــلِ
أنــزْ طريقــاً لبيتــي
وجُـدْ ليعشِـبَ رمْلي
فأنت كفُّ ضيـــــاءٍ
تلـــمّ في العتـــم شمْلي
وأنت حارسُ حـــرفٍ
يقيــلُ عثــرة ذلّــي
أجود بالحبّ وصــلاً
فحبلُــــه لُــفَّ حَولي
مللتُ دونك عيشـــاً
وصارَ ذكـــرُك شغـلي

أتيتُ خلفَك أمشـــي
كأنني طيـفُ ظـــلِّ
ورحتُ أجمعُ بعضي
بعطر صوتك .. كلّـــي
كأنني محضُ حـرفٍ
فأين همــــزةُ وَصْلي ؟
فلا تسلني صديقـــي
فقـــد رأيتُـــك أصْلي
ولا تقفْ في طريقـــي
إذا وقفتُ أصلّـــــي
أريدُ منك سمــــاءً
تجتثُّ آلـــةَ قتـــلِ
لكي أراكَ قريبـــاً
ويسكنَ المجدُ نخـــلي
ليصبح الشّكل معنى
على ضفاف التّجـــلّي
قرأتُ عندكَ حلمـــاً
وكان قبلَــكَ جهـــلي
وجدتُ إرثــيَ فيه
فصـار دولــةَ عـــدلِ

قصيدتان

محمد توفيق يونس

وطني

لي أن ألامسَ
ثغرَ الطبيعةِ
وكأني أقولُ للضوءِ
أحقاً رأيتَ وجهَ حبيبتي؟
لي أن أسيرَ مع الفجر
وكأني صدىً يؤرقهُ
أنينُ رمادٍ..
لا كتب فيه ولا مطرْ.
لي أن أصيرَ الوقتَ
أفتحهُ وأغلقهُ
حتى إذا نُحتُ من قلقٍ
أسلمتُ للحزنِ دربي
كيما يُشيدهُ.
لي أن أجيئَكِ..
قصائدَ من لجةٍ
ولا دليلَ غيرَ
غيمٍ يغوي السماءْ
طالعاً من وجعٍ ومن حنينْ.
لي أن أقودَ الموجَ أُعلِّمَهُ
كيفَ يصيرُ النارُ والماءُ
سؤالَ هذي الريحِ
وفي أحضانكِ تحتفي.
لي أن أتحولَ، أموتَ، أحيا
من رمادْ.
أديرُ وجهي شطرَ أحزانكِ
ويقيني أنَّ شمسكِ طالعةْ.
لي أن أشهقَ إلى أعضائكِ
وفوقَ كلِ رسمٍ أنادي:
وطني.. يا وطني.. يا وطني.

البحر

البحرُ
وحيُ الزمنِ،
يكتبُ الموجَ وجوهاً
تلبسُ عُريَ الأبدْ.
ولا انبجاسَ لغيرِ العمرِ والزبدْ.
مرتحلاً
يُنادمُ الوقتَ،
يهمسُ لي:
أنْ اكسرْ وهمَ التحولِ،
اجمعْ أحاسيسكَ كلها،
ترى:
أيَّها الأكثرَ وعياً،
وأيها الأكثرَ انفعالاً.
ولمْ يلتفتْ.
كيفَ لبحرٍ، إذنْ
رمى ثوبَ اللقاءْ،
وآثرَ ألا يتركَ لي،
حتى ما يكفي للرجوعِ،
أن لا يستنبتَ وقتاً آخرَ
لأكتشفَ البعدَ العصيَّ
على المدى.
وأقولَ:
إن الدربَ إلى كلِ ريحٍ، وداعْ.
كيفَ للدقائقِ التي تطوفُ وتسعى
أن لا تقف حلماً
من خابيةِ البحرِ انسكبْ
ولا شيءَ، لا شيءَ
غيرُ السؤالِ يقولُ.
بلى، سأحملُ
كلَّ هذا الحُبِّ
وأنادمَ موجاً
يئنُ تحتَ أرقِ المُنَزْلِ
وأقولُ،إذنْ:
أيُهذا البحرُ ترجّلْ
ودعني أُكملْ رسالتكْ.

عتّقي الصّبح

هيثم علي

عتّقي الصّبح . . . لن يطول السّوادُ
وأعيدي إليّ ما لا يعـــــــادُ
واتركيني ومركبي وشـــــراعي
أمخرُ الضّوءَ . . . إنّني السّندبادُ
قد حملتُ الضّحى إليكِ رسولاً
فيه من وجهكِ الجميل اتّقادُ
قادماً . . . تحملُ النّوارسُ وجهي
وتغنّي مواجـــــعي أروادُ
ليس قلبي أقلّ من قلب «كعبٍ «
ليلةَ البينِ . . . حين « بانت سعادُ «

***

لا تقولي لقد ذهبت بعيداً
ليس بيني وبين قلبي ابتعادُ
واتركيني أفلسفُ الحبَّ وحدي
كيفما شئتُ . . . لا كما لي يراد
أنتِ وجهٌ من السّماوات آتٍ
كلَّ يومٍ جمالهُ يزدادُ
لستِ أنثى . . . وإنّما كلماتٌ
منزلاتٌ . . . وما لهنّ نفادُ
أنت زيتونةٌ تضيءُ ولو لم
تمسسِ النّارُ زيتها . . . أو تكادُ
يشربُ الغيمُ من نداكِ ويهمي
عَبراتٍ . . . فيستفيقُ الجمادُ
أوّلُ الخمر أن تكوني بلادي
بعد عينيكِ لن تكونَ البلادُ

***

أنتِ يا شامُ منذ آدمَ أدرى
بمعاني الجهادِ . . . أين الجهادُ ؟ !
أرضك الياسمينُ . . . كم من صهيلٍ
عانق الشّمسَ . . . تشتهيه الجيادُ
كلُّ من أسرجوا النجومَ خيولاً
لهمُ فيك يا دمشقُ امتدادُ
كل زيتونةٍ تنفّسُ صبحاً
هي تدري لجذرها ما يرادُ
من هنا يزهرُ الشهيدُ ربيعاً
ويكونُ الميلادُ والميعادُ
صعدوا كالعبير غاراً وعطراً
وعلى أذرع السّماوات عادوا

لا يسمح لأحد أن يعكر مزاجه

أحمد زياد محبك

ينزل أكثر الموظفين في الشركة إلى الشارع مدهوشين لينضموا إلى الناس المتجمعين حوله، تطل الموظفات من النوافذ مدهوشات، تتردد التعليقات: "هذا غير متوقع"، "لماذا فعل هذا؟"،"ربما خرج من البيت بعد خصام مع زوجته"، "هو عريس، ما مضى على زواجه غير شهر"، "حقيقة الأمر غريب"، "هو طيب وهادئ"، "مزاجه دائماً هادئ"، "في الواقع لا يسمح لأحد أن يعكر مزاجه".

وتحضر سيارة الإسعاف، وفي إثرها سيارة الشرطة.

*

وقف على الرصيف ينتظر سيارة أجرة، التفت إلى الشرفة، رأى زوجته تقف، تودّعه، أشار إليها بيده. يوم جديد، يستقبله بتفاؤل، نهض باكراً، استحم كعادته كل صباح، حلق ذقنه، رشت زوجته على ذقنه وعنقه وكتفيه العطر، قبلته، قعد إلى المائدة، تناول الإفطار معها، عند الباب ودعها بقبلة، ونزل على الدرج. أشار إلى زوجته ثانية، مودعاً، وهي ما تزال في الشرفة، يطلب منها الدخول.

على الرصيف إلى جواره أكياس قمامة سوداء، بعضها تناثرت منه القمامة، ابتعد عنها.

وقفت أمامه سيارة أجرة، مد رأسه من النافذة، غمره دخان سيكارة من النوع الرخيص جداً، وجه السائق ضخم، في زاوية فمه سيكارة، عنقه غليظ مثل جذع شجرة زيتون عمرها ألف عام، اللغد يتدلى أسفل ذقنه مثل لغد في عنق ثور هائج، حيّاه: "السلام عليكم"، استل السائق السيكارة من فمه، نفث الدخان، سأله السائق بنبرة جافة: "إلى أين؟"، أجابه: "رُدَّ علي السلام، يا أخي"، أجابه السائق بصوت أجش، وهو ينفث دخان سيكارته: "وعليك السلام، قل لي، ما هي وجهتك؟"، أجابه، وهو يبتسم: "شركة التعمير، في الشمال"، وضع السائق السيكارة في زاوية فمه، دفع بيده مبدّل السرعة، صاح وهو يزمجر مثل الرعد: "أوه، لالا، طريقي، عكس طريقك، أنا متجّه للجنوب"، وانطلق بسيارته.

رفع رأسه إلى الشرفة، لا بأس، الزوجة مضت إلى الداخل، لم تشهد خيبته. ما يزال يشعر بالبهجة، ويحس بالنشوة، وهو متفائل بنهار جديد، لن يسمح لأحد أن يعكر مزاجه. التفت إلى أكياس القمامة، ابتعد عنها أكثر. رأى سيارة مقبلة، نزل عن الرصيف، خطا خطوتين في الشارع، السيارة اقتربت، أشار إلى السائق بيده، لكن السائق ظل منطلقاً، كأنه لم يره، تأكد من أن السيارة فارغة، لا أحد فيها، سوى السائق، تأكد من أن السائق قد رآه، وهو يشير إليه، ولكن، لماذا لم يقف؟. ماذا في هيئته؟ هل هو متسول؟ هل ثيابه رثة؟ هل يبدو عليه أنه قاطع طريق؟ على العكس، هو في كامل أناقته، شذى العطر لم يغادر بعد ذقنه ولا عنقه، ودفء قبلة زوجته ما يزال يحس به على خده، ليس معه حقيبة سفر ولا حقائب ولا أكياس ولا حاجات؟؟ هل يبدو عليه أنه موظف؟ ما هي المشكلة؟.

ذبابة حامت حوله، حاولت أن تحط على ذقنه، جذبتها رائحة العطر، أشاح عنها، أزاحها بحركة من يده، ابتعد عن أكياس القمامة أكثر فأكثر. سيارة مقبلة، تقدّم نحو منتصف الشارع، أشار إليها، وهي ما تزال بعيدة، أضاء له السائق مصباح السيارة، في إشارة استجابة، قبل وصولها إليه بنحو ثلاثمئة متر، قفزت من بين السيارات المركونة إلى جانب الرصيف صبية شقراء، نحيلة، مرسلة الشعر على كتفيها، في بنطال ضيق، أشارت بيدها، ووقفت عندها السيارة، صعدت فيها، وانطلقت بها، لدى مرور السيارة أمامه، كان السائق يلتفت إلى الطرف الآخر، كأنه لا يراه.

نظر إلى ساعة يده، ما يزال في الوقت متسع، أمامه نصف ساعة، يمكنه أن يصل في عشرين دقيقة.

فجأة تقف قبالته في الاتجاه الآخر سيارة، كأنه لم يرها من قبل، أشار إلى السائق بيده، دالاً على أن طريقه في الاتجاه المعاكس، بسرعة فائقة التف السائق بسيارته، وحط أمامه مباشرة، مد يده، فتح الباب، السائق كرة كبيرة من اللحم، جثة هائلة، المقود يغوص في بطنه، رأسه صغير، أصلع، كأنه رأس عصفور، لا يتناسب وحجم جسمه، صوته ناعم، كأنه صوت أنثى، يداه قصيرتان، بادره قائلاً: "تفضل أستاذ"، قال له: "إلى شركة التعمير"، صمت السائق، طال صمته، أجابه بلطف: "أرجوك، اعذرني، كان بودّي أن أخدمك، ولكن شركة التعمير في الطرف الشمالي، ويجب أن أخترق المدينة، أمامي عشر إشارات مرور، والآن بداية دوام الموظفين، الزحام شديد، أنا بخدمتك، ولكن، اعذرني"، وانطلق بسيارته.

صمت، نظر إلى ساعة يده، لا بأس، لن يسمح لأي شيء أن يعكر مزاجه، فلينتظر.

الذبابة تحط على مؤق عينه، يطردها، يحرك يده، يحاول تحريكها بهدوء، يبتعد عن أكياس القمامة أكثر، "من أين جئت أنت؟ لا أريد أن أعكر مزاجي". سيارة قادمة من أقصى الشارع، عرفها على الفور من الشعار المثبت فوقها، هي إحدى سيارات شركة متخصصة للنقل بالأجرة، أشار إلى السائق، وقف أمامه، مدّ رأسه من النافذة، سائق وسيم، في زي خاص، السيارة حديثة، المقعد نظيف، نفحته أشذاء عطر ناعم وأصداء موسيقا هادئة، التفت إليه السائق، رحب به، فتح باب السيارة، وهم بالدخول، السائق سأله: "هل أنت مشترك جديد؟ وهل اتصلت بالمركز؟"، دهش الشاب، علّق السائق: "أنا آسف يا أستاذ، هذه شركة نقل خاصة، تخدم بالأجرة المشتركين فقط"، واستل بطاقة قدمها له، وهو يقول: "تفضَّل، هذا رقم المركز، يمكنك الاتصال، ودفع اشتراك شهري، ونحن بخدمتك، فقط اتصل في أي ساعة، وننقلك حيث شئت، في الوقت الذي تريد". انسحب، أغلق باب السيارة بهدوء، السائق كرّر اعتذاره بلطف، وانطلقت السيارة.

ما يزال في داخله بقايا من شذى السيارة وموسيقاها الهادئة.

وقف، لن أنفعل، يومي جديد، وأنا خرجت من البيت مسروراً، لن أعكر حياتي.

نظر إلى ساعة يده، بقي ربع ساعة على بدء الدوام، ليس في الأمر مشكلة، يمكنني أن أتأخر ربع الساعة، ما يزال أمامي متسع من الوقت. ولكن من أين جاءت هذه الذبابة؟ لم يبق إلا أنت؟ لن أنفعل، لست أنت المشكلة. وهذا السائق الشاب له عذره، لا يستطيع أن يوصلني، لا بد أن أكون من المشتركين، حقيقة، الزحام في المدينة شديد، وهناك أكثر من عشر إشارات مرور، أنا مخطئ، يجب أن أخرج من البيت قبل ساعة، لا ضرورة لسيارة الأجرة، يمكن أن آخذ الحافلة، حافلة النقل العام أوفر، حتى السائق الأول له عذره، لعله متجه إلى الجنوب، ربما انتهت نوبة عمله على السيارة، وهو يريد تسليمها لسائق آخر، معظم هؤلاء السائقين مساكين، أكثرهم ليسوا مالكي السيارات، أكثرهم يعملون بالأجرة، أحدهم يعمل تسع ساعات، أو اثنتي عشرة ساعة، ثم يسلم السيارة لسائق آخر، ومالكها مستريح، تأتيه الأرباح وهو نائم في فراشه. لن أعكر صفو حياتي، يجب أن ألتمس لهؤلاء السائقين ألف عذر، كان الله في عونهم.

مرة أخرى تهاجمه الذبابة، يبتعد عن القمامة بضع خطوات، أي نوع هذا الذباب؟!.

أوه، هذه سيارة، تتهادى ببطء، هي من طراز قديم، ومتسخة، لعل صاحبها لم يدخل بها إلى المغسلة منذ شهر، أو أكثر. تقف أمامه، شيخ عجوز، ناحل، عروق يده الزرقاء نافرة، صغير الجسم، يقعد وراء المقود ولا يكاد يظهر، على عينيه نظارة طبية سميكة جداً، ترى هل يبصر الطريق؟ وكيف يقود السيارة، حتى إن الزجاج في العين اليسرى من النظارة مكسور.

يقول له: "مرحباً ياعم"، ويرد: "أهلاً يا بن أخي، تفضل"، ويسأله: "هل توصلني إلى شركة التعمير"، ويرد السائق العجوز:" أنا بخدمتك، هذا هو عملي، لماذا أنا هنا في السيارة؟! مستعد لأوصلك إلى برج إيفل"،

ويدخل في السيارة، يقعد إلى جواره. وهو يعلق: "شكراً لك يا عمي، أنت رجل طيب، يكفي أن توصلني إلى شركة التعمير، عندي دوام، لا أريد برج إيفل، فهو في باريس، وهو بعيد، نحن هنا في آسية وهو هناك في أوربة"، العجوز يضحك، يضحك، يمد يده إلى سلسلة مدلاة من المرآة المعلقة أمامه، وهو يقول له: "انظر، هذا هو برج إيفل". ينظر، ويضحك، ثم يعلق: "ها قد وصلنا حقيقة إلى برج إيفل، كم هي أجرتك؟"، العجوز يضحك، يعلق: "الأجرة إلى برج إيفل مجاناً، اقسم بالله لن آخذ منك إلى برج إيفل أي ليرة"، ويستغرقان في الضحك.

السائق العجوز غائر الوجنتين، فمه واسع، شعره أبيض، كث، كأن شعرة واحدة لم تسقط منه، لامع، مسرح بعناية، آثار أسنان المشط ظاهرة فيه بوضوح، يداه تمسكان بالمقود بقوة، عروق يديه زرقاء نافرة، يكاد الدم ينفجر منها. السائق يتكلم: "يا ابن أخي، الطريق إلى شركة التعمير عبر المدينة مزدحمة، وأمامي أكثر من عشرين إشارة مرور، وأخشى أن تتأخر عن عملك، واضح، أنت موظف هناك، ما رأيك لو ذهبنا في الطريق الملتفة حول المدينة؟"، ينظر الشاب في ساعة يده، ويجيب: "لا بأس". ويدخل السائق في شارع فرعي، ويصير بعد دقائق في الطريق السريعة الملتفة حول المدينة.

يا إلهي، كيف سلمت روحي إلى هذا السائق العجوز، هذا قد يموت بعد ساعة، ربما يموت ونحن في الطريق.

السائق يميل نحو المذياع، يبدأ بالبحث عن محطة، وهو يتكلم: "سأبحث لك عن محطة فيها أغنية صباحية جميلة، حتى تتسلى". السائق يقود على مهل، يمد عنقه من وراء المقود ويميل إلى أمام ليرى الطريق، بين حين وآخر ينظر في المرآة المعلقة أمامه، ليرى السيارات التي وراءه، سيارات كثيرة تتجاوزه، وهي تطلق زعيقاً صارخاً، كأنها تريد تنبيه السائق من غفوته، أو توبيخه، فهو يقود ببطء في طريق دولية. السائق يتكلم: "يا ولدي، هؤلاء طائشون، يأخذ أحدهم اليوم رخصة قيادة، ويبدأ غداً يقود سيارته بسرعة، ليس عندهم خبرة، وأخطر ما يكون الأمر في مثل هذه الطرق السريعة المتلفة حول المدينة".

الشاب يصمت، ينظر إلى العروق الزرقاء النافرة في يديه، وهو يتمسك بالمقود، كأنه يتعلق بطوق نجاة، يتوقع بين حين وآخر أن ينفر الدم منهما.

الخطأ أني ركبت معه في سيارته، الخطأ هو خطئي أنا، لو سرت على أقدامي لكان الأمر أفضل، هذا العجوز يلهث، ولا يكاد يبصر الطريق، نفسه يتقطع، لعله يموت بعد ساعة، لعله يموت قبل أن نصل إلى الشركة.

السائق يتكلم: "هل تريد أن أقود بسرعة مثلهم، صدقني أستطيع الدخول معهم في سباق دولي، ولكن أنا حريص على سلامتك، سيارتي حديد، تتحدى كل سياراتهم، ولكن السلامة أولاً، من يتأخر ربع ساعة مثل من يتأخر خمس دقائق، في هذه الأيام كل الموظفين يتأخرون، حتى المدير نفسه يتأخر، السلامة يا ولدي أهم شيء". يمد عنقه إلى امام، يرفع رأسه، ينظر في المرآة، يميل نحو المذياع، يبحث عن محطة، فيروز تغني:

عا هدير البوسطه
اللي كانت ناقلتنا
من ضيعة حملايا
على ضيعة تنورين
شفتك يا عليا وشفت عيونك
يخرب بيت عيونك يا عليا
شو حلوين

يعود السائق إلى الكلام: "سيارتي أنا حديد، وسيارتهم تنك، وساعدي أنا حديد، وساعدهم شيكولاته، هات مد يدك، هات"، ويمد الشاب يده، يمسك بها العجوز، يشد عليها قبضته، يضغط، يضغط، حقيقة يده كلابة من حديد، يبدأ يشعر بالألم، العجوز يقول: "آلمتك، قل ، اعترف، لا تخجل، رأيت؟ أنا مستعد أن أنزل وأصارع هؤلاء الشباب الذين يتجاوزون سيارتي".

السيارة بطيئة، أدرك أن السيارة بطيئة، وهي غير قادرة على أن تسير في الطريق السريعة.

العجوز يتكلم: "أمامنا محطة وقود، البنزين فيها ممتاز، إذا كان عندك بعض الوقت، فقط، بخمس دقائق أملأ الخزان، ما رأيك؟ الأمر يعود لك، أنت مالك السيارة، أنت صاحب الأمر، وأنا خدامك، ما دمت قد تأخرت، خمس دقائق أخرى من التأخير لن تضر، ما رأيك، الأمر يعود لك". ويدخل بسيارته إلى المحطة، يملأ الخزان، يحضر زجاجة ماء، يفتح غطاء المحرك، يملأ المبرِّد. ويعود إلى مكانه وراء المقود، يمد يده إلى صندوق صغير أمامه، يفتحه، يسحب منه خرقة عتيقة، يمسح بها يديه، يمسح ساعديه، يمسح العروق الزرقاء النافرة، يعيد الخرقة إلى الصندوق.

السيارة ما تزال تسير الهوينا، والسائق يتكلم: "لا أستطيع أن أكذب عليك، الله هو الذي بعث لنا هذه المحطة، حرارة المحرك ارتفعت، على كل حال عشر دقائق وندخل المدينة من الطرف الآخر، ولا يبقى سوى القليل حتى نكون أمام شركة التعمير، وأنت شاب طيب، وكريم، أرجوك سامحني، اعتبرني مثل والدك، لا شك أني أخرتك، ماذا أفعل، سيارتي قديمة كما ترى، يجب أن أعيش". الشاب كان قد لمح سكيناً طويلة النصل داخل الصندوق، عندما أخذ العجوز الخرقة. يسأل بفضول: "لماذا هذه السكين ياعم؟"، العجوز يجيبه:" أحياناً أشتري تفاحة، فأقشرها، وأحياناً يكون العداد مئة ليرة، ويعطيني الراكب خمسين ليرة، أعرف أنه لص، قاطع طريق، أستل السكين، أهدده بها، صدقني أشتهي قطع حنجرته، ولكنه فور رؤيته السكين في يدي يعطيني مئة وخمسين، مثل الكلب، بدلاً من مئة، أنا ما استعملتها أبداً، هي للاحتياط فقط، التلويح بها يكفي، هي تعطيني الشعور بالأمان".

كيف ستستعملها ياعم، وأنت على حافة قبرك، يكفي أن يقول لك راكب لن أدفع لك حتى تسقط ميتاً قبل أن تمتد إليها يدك، وأنا أخشى الآن أن تموت قبل أن نصل إلى شركة التعمير، ولكن ها أنذا أراك تلف وتدور وتخدع وتكذب، بل تنزل وتفتح باب المحرك، وتتحرك وكأنك ابن عشرين، حركتك مثل القرد، وتشد على يدي، فتكاد تكسر معصمي، ولكن ما هي إلا حركة ما قبل الموت، الشيوخ هكذا يتعلقون بالحياة، ويستنفدون أقصى طاقتهم، ليؤكدوا أنهم أقوياء، ولكن لا أشك لحظة في أنك ستموت فور وصولنا إلى الشركة، المهم أن توصلني أولاً إلى الشركة، وبعد ذلك يمكنك أن تعيش مئة عام أخرى إذا شئت، أو لا تعيش. لا بأس، هي رحلة مسلية، وإن كانت مزعجة، لن أستاء، فأنا خرجت من بيتي مسروراً، وتخلصت على أقل من الذبابة اللعينة، لا أريد لأي شيء أن يعكر صفو حياتي، يجب أن أعود إلى البيت مسروراً، لن أسمح لأحد بتعكير مزاجي.

ويدخل العجوز بسيارته إلى المدينة من الطرف الشمالي، يدخل شوارع فرعية، يجتاز إشارة حمراء، وهو يقول: "لأجلك خالفت المرور واجتزت إشارة حمراء، لا أريد تأخيرك"، ويصمت، ثم يسأل: "قل لي ما اسمك؟"، وبعفوية يرد الشاب: "خالد"، السائق العجوز يغمغم: "والدك متفائل، سماك باسم خالد بن الوليد، لتكون مثله، ولكن الزمان يا ابني تغير". أمام شركة التعمير، تقف السيارة، ساعدا السائق مشدودتان على المقود، كأنه طوق نجاة يتمسك به، عروق يده الزرقاء نافرة، كأن الدم ينبجس منها.

الشاب ينظر إلى العداد، السائق يقول له: "لا تنظر إلى العداد يا ابن أخي، لن آخذ منك أجرة"، الشاب يرد: "لا، لا يجوز ياعم، العداد يشير إلى خمس وسبعين ليرة، أنا سأكرمك، سأعطيك مئة"، السائق العجوز، يمسك الشاب من يده، يشد على معصمه، يصيح به:"مئة، ماذا تقول: أنا سأصيح، سأجمع كل الموظفين في شركة التعمير، سألم الناس عليك، ثلاثمئة، لا أرضى بأقل من ثلاثمئة، أنا سرت بك في الطريق الدولية، وهذه أجرتها مختلفة". يا إلهي، قبضة يده قوية، كلابة من حديد، ماذا سيفضحني؟ سيستل السكين ويذبحني؟. ويرسل العجوز صرخة مخنوقة.

*

ينزل أكثر الموظفين من الشركة، ينزل المدير، الناس يلتفون حول السيارة، السائق العجوز وراء المقود، والدم ينفر من عروق يده الزرقاء، من عنقه، الشاب خارج السيارة قميصه ملوث بالدم.

في مخفر الشرطة يقول مدير شركة التعمير للضابط: "لا أصدق، هو من خيرة الموظفين، مضى عليه في العمل عندي عشر سنوات، ما تخاصم مع أي زميل في العمل، أو مع أي مواطن، لا أعرف لماذا قتل العجوز، وهو على حافة قبره".

أحمد زياد محبك

من وحي الشآم

حسين أحمد عبد الرحمن

إنها الشام نادمتها الرياح
وحماها في ظله الفتاح!
واكتوى في غرامها الغرب والشرق
وأغفى في حضنها الانشراح
وأتاها البيان شعراً ونثراً
وتجلى في قولها الإفصاح
أيها العابثون في أمنها عودوا
إلى رشدكم فلن ترتاحوا
قد يدوم الأذى قليلاً طويلاً
ثم يمضي والخالد الإصلاح
سوف تلقون ما تعيثون شراً
ستموتون فالردى لواح
بشر القاتلين بالقتل دوماً
إن قتل الإنسان ظلم صراح
لن يرى القاتل المعذب ليلاً
من هناءٍ ولن يراه الصباح
إنها الشام سوف تبقى مناراً
سوف يبقى المنار والمصباح
إنها الأم سوف تبقى مزاراً
سيعود المنفي والسواح
أرضها قد تفرد الله فيها
واكتوى في ترابها المجتاح
دعوة «المصطفى» وتوحيد «عيسى»

وتسابيح «يوسف» والجراح!
إنها «الشام والعروبة والفتح»
وجاء الإسلام والانفتاح
إنها الشام والحضارة والتاريخ
يأتي ويستظل الكفاح!
وعيون الأقصى ومئذنة الإيمان
نهرٌ والصخرة الأقداح
إن يوماً في الشام يومٌ من السهد
ويوم فيه الرضى والفلاح!
لن يرى العابث المضرُّ هناءً
سيراه العذاب والانبطاح
أيها المدلجون في الفتنة انحازوا
إلى النور نورها وضاح
أيها المدلجون في الفتنة انحازوا
إلى الحق حقها صداح
كتب الله أن يسود سلامٌ
إن ربي السلام والإيضاح
كتب الله أمره وقضاه
لن يعيش الظلوم والسفاح
إن يوم الحساب يومٌ قريبٌ
سيرى النار قاتل ذباح!
أنا أرجو من ساكن الشام عفواً
وسماحاً فالعفو شيء متاح

قصيدتان

ياسين عبد الكريم الرزوق

رصفانُ دمعٍ ذارفٍ

داست على رصفان دمعٍ ذارفٍ
فتكسَّرتْ من تحتها تتناثرُ
و جرتْ على خدِّ الخيال طيوفها
كسيول حلْمٍ بالنوى هي تهدرُ
فوضعتُ في ظرفٍ رسالة لوعتي
أشكو الجوى بختوم سهدٍ أمهرُ
و معاتباً بكلام شوقٍ شاكياً
من جورها بعيون نوحٍ أسهرُ
و بصدفة الأغرابِ باتت رؤيتي
كحبيبِ دهرٍ غابرٍ هل تذكرُ؟
و تعلَّقتْ أيَّامُ عيشٍ مضنكٍ
بغصون عطفٍ زائفٍ تتسمَّرُ
فسقطْتُ مرتشفاً رحيقَ ورودها
مغمى عليَّ بحلمها أتبحَّرُ
و صحوْتُ منها راجياً متوسلاً
صفعاً و نَهراً علَّها تتبخَّرُ
لكنَّها صارت لفكري ساحةً
فيها يجولُ و ظلُّها لي يظهرُ
فغدوْتُ في مرج الجمال معثَّراً
بعتابها أبغي لُقاً يتأخّرُ
يا مَنْ زرعتِ حلاكِ في إطلالةٍ
صارتْ بقيد عِواذلٍ تتعذَّرُ

مُطوَّقٌ بطيوف ذكراها

أُمضي الليالي ساهراً أتألَّمُ
وحبيبتي في صدِّها تستعصمُ
وأنا غريق هوىً أعاني مثقلاً
بجراح بعد مِن لظاها أسقمُ
بخيوط سحر مِن مهاها عالقاً
بخيال قربٍ فاتنٍ أستلهمُ
فحملتُ قلبي ناظراً أتوهَّمُ
علِّي بها لعظيمِ حبِّي تفهمُ
ونظرتُ رَكباً من ثريَّاها كعا
شق نِجمِ قطبٍ في النوى هو يُهرِمُ
كمُطوَّقٍ بطيوف ذكراها أكا
بدُ رفضها و أعيشُ عمري أُكلَمُ
أدعو الوصول كتائه عن دربه
و بعيدِ دهرٍ في اللقا هو يحلمُ
أَفَإنْ وقعتُ عليلَ هجرٍ ظالمٍ
هل لي بِنَظرةِ رأفةٍ أتنعَّمُ؟
و نصبْتُ مشنقتي على أبوابها
أبغي العبور كمذنبٍ أسترحمُ
مستعطفاً قلباً قسا متكبِّراً
فبدأْت خنقاً في حبالكِ أُعدمُ

الذراع المباركة

فايزة داؤود

حملت ليلى طفلها الرضيع إلى الشيخ سلمان وضعته أمامه، حلَّت قماطه الأبيض بهدوء وأخرجتْ ذراعَهُ الضخمةَ ثم رفعتها إلى أعلى. أطال الشيخ نظره إلى الذراع المتورمة ثم هز رأسه بخشوع وقال لها بلهجة خاشعة مموسقة:

- سيكون لهذا الطفل شأن كبير يا ليلى، فانتبهي إليه وإياك ثم إياك أن تهمليه. ارتجفت ليلى وراحت تتأتئ بعبارات لا ترابط بينها ثم سألت الشيخ من دون أن تفارق نظراتها وجهه الأصفر:

- وذراعه يا شيخنا، هل ستكبر مع جسده أم أنها...؟!.

قاطعها الشيخ حازماً بالصوت الخاشع المموسق ذاته:

- ذراعه مباركة وهو حساس جداً ويخشى عليه من فظاظة الآخرين.

أشرق وجه ليلى بالفرح، ولعنت في سرها الطبيبَ الذي شخَّص مرض مسعود على أنه داء الفيل، والأنكى من تشخيصه هذا تأكيدُهُ على أن هذا الداء لا دواء له. أعادت ليلى الذراع إلى مكانها ولفتها بالقماط الأبيض، وعادت بطفلها إلى البيت، ورددت لدى وصولها على مسمع إبراهيم ما قاله الشيخ سلمان.

انتشى الأب وأكد صدقَ نبوءةِ الشيخ حين قصَّ عليها مرةً أخرى حلماً كان قد رآه قبل أيامٍ من ولادة مسعود: (رأيته ملكاً يرتدي حلةً من ذهب، وكان جالساً على عرشٍ من نور، ومن حوله سبعةٌ من العماليق، وأمامه قومٌ بيض سمر، صفر سود وجميعهم عند قدميه راكعون وينظرون بخشوع إلى عرشه المضيء).

زال القلق من نفسِ ليلى، وصارت تخصصُ معظم وقتها للعناية بالملك القادم أو من أجل حماية ذراع الملك القادم من أخته والضيوف الفضوليين.

كان نموُّ الذراعِ سريعاً ونمو الجسدِ بطيئاً، وبعد ثلاثة أشهرٍ من زيارة ليلى للشيخ، وبينما كانت تحتضن مسعود وترضعه، ضربت الذراعُ صدرَ ليلى، فتوجَّعَتْ وأطلقتْ صرخةً ألم ارتعدَ مسعودُ على إثرها، فأفلت ثدي أمه، وتقيأ الحليب الذي رضعه وصار يبكي ويرتجف، كبتت الأم الألمَ، وراحتْ تهدهدُ الرضيعَ وتغني له لحناً ممزوجاً بالبكاء، لكن، لم يُجْدِ غناؤها ولم تنفع هدهدتها، وتذكَّرتْ وهي تؤرجحه بين ذراعيها كلام الطبيب المتعلق بمراعاة وضع المريض، واستعادت ذاكرتها تحذيرات الشيخ حول حساسية مسعود من المحيط الذي يعيش فيه ثم انتبهت إلى يدها التي كانت تقيّدُ ذراعَ مسعود الضخمة، أفلتتها بسرعة، وعلى الفور رفع ذراعه وضرب وجه أمه، فارتسمت أصابعُهُ العملاقة على وجهها، كتمت ليلى الألم رغم شدته، وأطلقت ضحكة مفتعلة فعاد الأمان والفرح إلى نفس مسعود المذعورة، واكتشفت ليلى أن الطريقة الوحيدة لإسكات مسعود وإسعاده هي تحريك ذراعه وضرب من حوله وإفراطهم في إظهار السعادة من شدة الألم.

كبرت ذراع مسعود في بيت من الضحك، يضربُ الأمَّ بها، فتضحكُ من الألم ويصفعُ الأبَ بكل ما أوتي من القوة، فتصهل ضحكتُهُ في أرجاءِ البيتِ، يمارسُ على أخته جميع أنواع التعذيب، وتغرد ريما بضحكتها العذبة والدموع تنثال على وجنتيها الورديتين من شدة الفرح بالعذاب وفرط التمتع بالألم.

صار مسعود في الثالثة يريد أن يخرج إلى الشارع؛ حيث الأولاد يلهون ويمرحون، رأت ليلى أن عليها البدء بتدريب الجيران والأقارب على كيفية التعامل مع مسعود الحساس، بدأت عمليات التدريب بذكر نبوءة الشيخ سلمان وحلم إبراهيم ورأي الطبيب في حساسية مسعود المفرطة، ثم حدثتهم عن ذراع مسعود الضخمة وجسده الذي يكاد يعجز عن حملها، بعد ذلك حذرتهم من البكاء أو حتى الاعتراض عليه أو رد الحجر من حيث أتى، كأن ينتزعوا من يده أشياءهم، وخاصةً ألعابهم، ونصحتهم بالضحك والفرح وتقبيل اليد بعد كل ضربة يتلقونها منه.

خرج مسعود إلى الشارع، وكان على الصبية الذين يشاركونه اللعبَ أن ينصروه دائماً، لأنه مريضٌ وحساس، ويحمل ذراعاً مباركة، ومن يرفض التنازل عن انتصاره تكون ذراع مسعود بانتظاره يتلقى ضرباتها الموجعة، ويضحك من شدة الألم، ويتضامن الصبيةُ مع مسعود ضد الآخر الجلاد الذي لم يستمع إلى نصائح الأم الحكيمة، وبالتالي لم يراعِ وضع مسعود الحساس؛ ولم يحترم ذراعه المباركة.

بدت ليلى راضية إلى حدٍ ما عن المعاملة التي يلقاها مسعود، وفي الوقت ذاته كانت تحتج على كل سلوك لا يراعي مشاعره الرقيقة، وقبل أن يكمل الرابعة هيأت الأم روضة الأطفال لاستقبال طفلها، فشرحت لمدير المدرسة والمعلمات والأساتذة وضع مسعود، وبينت لهم بأمثلة استحضرتها من ذاكرتها أن الحساسية المفرطة هي طبعٌ يتمتعُ به العظماءُ فقط، ثم ذكرت لهم نبوءة الشيخ سلمان حول قدسية ذراعه، وقصت عليهم حلم إبراهيم بعد أن أضافت إليه بعض التوابل والبهارات كقولها إن إبراهيم رأى نوراً ينزل من السماء على بطنها، وبأنه سمع صوتاً يتكلم ويطلب من إبراهيم أن يطلق على الجنين الذي في بطنها اسم مسعود؛ لأنه سيكون سبباً في إسعاد كل من حوله وعلى يده ستتحقق أحلام قديمة، وأعلنت أمام أعضاء إدارة الروضة أنه ريثما يصبح مسعود رجلاً فإن ذراعه ستصبح طويلة لدرجة قد تصلُ إلى أطراف حدود البلاد الأربعة، وقوية بحيث إذا امتدت إلى كل من تسول له نفسه إزعاجه أو الوقوف في وجهه فإنها ستقسمه إلى نصفين. كانت لهجة ليلى تحمل طابع التهديد والوعيد، وعيناها تبدوان تقدحان شرراً، أما شفتاها فكانتا تمطران زبداً غزيراً. ورغم ذلك فقد أبدى مدير الروضة والمعلمون تفهمهم لوضع مسعود، وعاهدوا أمه على معاملته بحذر شديد وخصوصية لا سابقة لها في روضتهم، ولا حتى في غيرها من الرياض أو المدارس. وما حصل في البيت والشارع تكرر في الروضة. وضعت المربية مسعود في المقعد الأول، ولم تسمح لأيٍ كان بالجلوس إلى جانبه؛ ليس لخوفٍ على الآخَر؛ بل كرمى لذراع مسعود المباركة، هذا من ناحية؛ أما السبب العلمي أو لنقل الطبي فيتعلق بالخوف من أن يؤدي جلوس طفل إلى جانب مسعود إلى إرباك الذراع؛ وهذا بدوره سيؤدي إلى تعثر نموها، ورغم ذلك فإن الملل كان يتسرب أحياناً إلى الذراع التي ضاقت ذرعاً بالمكان؛ فامتدت ذات يومٍ إلى مقعدٍ مجاورٍ وضربت مريم وأحمد، وضع الطفلان أيديهما على وجهيهما؛ وكانا سيصرخان ألماً لولا أنهما تذكرا نصائح المربية المتعلقة بحساسية مسعود العالية والمستقبل الذي ستصنعه ذراعه المباركة، عندئذٍ ابتلعا صراخهما، وضحكا ألماً حتى انثالت الدموع على خدودهما الطرية والناعمة، أثنت المعلمة على مسعود، وأعلنت أمام الأطفال أن مريم وأحمد قدوةٌ حسنةٌ للجميع وأنها قررت نقلهما إلى مقعدٍ آخر؛ لأن ذراع مسعود تكبر بسرعة وتحتاج إلى مقعد أحمد ومريم لتستريح عليه، اعترض الطفلان على قرار المربية وأعلنا عن تمسكهما بمقعدهما، وبما أن القرار الأخير هو دائماً لمسعود فقد أجاب الأخير ألا مانع عنده من بقائهما على مقعدهما، وهنا ارتفع صوت المربية لتشيد بأخلاق مسعود العالية وشفافيته النادرة وعلى الفور نقلت إلى إدارة الروضة ما حدث بتفاصيله المملة، وهنا ارتأت الإدارة أن عليها الإسراع في مكافأة مسعود ونشر الخبر بأقصى سرعة ممكنة؛ وبعد دقائق أبرقت الإدارة الخبر إلى الرياض والمدارس والجامعات والكليات الحربية والمنظمات الشعبية، واعتمدته وسائل الإعلام المرئية والمقروءة والمسموعة, كما أذيعت تفاصيله المملة مرات عدة على آذان الأطفال، ونقل إليهم بعد أيام توضيحاً حول أسباب ترك أحمد ومريم للمقعد رغم طلب مسعود منهما البقاء فيه، والتوضيح يقول إن ذراع مسعود تنمو بسرعة لدرجة أنها صارت تشعر بضيق المكان، وهذا ما جعلها تمتد إلى مقعد مريم وأحمد وتسبب لهما نوبات متكررة من الضحك المتواصل، وأدى ذلك إلى تعثر العملية التربوية. جلس أحمد ومريم في مقعدٍ بعيدٍ عن ذراع مسعود، فيما صارت الأخيرة تمتد إلى مقاعد أخرى، وتصيب وجوه الأطفال فيضحك هؤلاء حتى تنثال الدموع على خدودهم الغضة والناعمة، ووصلت ذراع مسعود إلى كرسي المربية، وضربت وجهها بقوةٍ أرجفت الصغار وأضحكت المربية، ورأى الأطفال دموع الفرح بالألم تغمر وجهها، ويوماً بعد يوم صار مسعود يمد ذراعه إلى آخر مقعدٍ في الفصل، يضرب المعلمة متى شاء فتضحكُ من الألمِ حتى تدمع عيناها، ويضربُ التلاميذ فيضحكون حتى لا يكاد يُسمَعُ في الفصل إلا الضحكُ والمرح. وسارت الأمور في البيت والشارع والمدرسة على خير ما يرام، ذراع مسعود تضرب الجميع والجميع يضحكون بصوتٍ يمنحُ الأمان والفرحَ للملك الحساس. استمر الوضع على هذه الحال إلى أن جاءت إلى المدرسة تلميذة جديدة اسمها جلنار. كانت جلنار فتاة رقيقة كزهرة لوز برية، فهي نحيلة يتلون وجهها بالحمرة عند حدوث أي موقفٍ أو أثناء أي انفعالٍ، ومهما كان بسيطاً أو عابراً، ولذلك اعتاد الجميع على رؤية حمرة خديها وبريق عينيها ورجفة شفتيها، كما أنها لم تكن قد اعتادت بعد على الضرب أو الإهانة من أحد، ولم تكن لتحتمل السب أو الشتم من أيٍ كان، وحين رأت مسعود في الباحة ارتسمت على وجهها علائم الدهشة والشفقة، فاحمر خداها، وسال عسل شفتيها، ولمعت عيناها ببريقٍ عجيبٍ، وبعد دقائق بدأ الصغار يقتربون من الطفلة ويعرضون عليها ألعابهم ويقدمون لها من زادهم قطع حلوى شهية ولم يكونوا ليعلموا أن قدوم هذه الطفلة إلى روضة مسعود هو فأل سيئ عليه، فحين دخلت التلميذة الجديدة إلى الفصل وجلست على المقعد الأول، دخل مسعود كالعادة متأخراً فرأى جلنار جالسة على مقعده، فما كان منه إلا أن مدَّ ذراعه العملاقة وضربها، على وجهها فسال بؤبؤ عينها اليسرى على خدها الأيسر، صرخت الطفلة وبكت وضربت مسعود بحقيبتها، ففوجئ الأخير بما حدث وشعر برعبٍ شديدٍ جعله يرفع ذراعه بكل ما أوتي من قوة ويضرب جلنار وكأنها صخرة صوان، فسال بؤبؤ عينها الثانية على خدها الأيمن وازداد بكاؤها، ومع ضربة الذراع الثالثة وقعت جلنار أرضاً وراحت تلتقط أنفاسها بصعوبة. خافت المعلمة على شعور مسعود الحساس فتدخلت, وحاولت كمَّ أنفاس جلنار، لكن الطفلة استمرت في التنفس ولم تتوقف ذراع مسعود عن ضرب الطفلة المضرجة بالدم، عندئذٍ علمت المعلمة أن تدخلها جاء متأخراً، لقد تمكنت هذه الطفلة الوقحة من إيذاء مشاعر مسعود وستنال المربية بسبب إهمالها عقوبةً كبيرةً.

وبعد دقائق من الحادثة المروعة دخلت ليلى إلى الفصل ورأت بأم عينها حال فلذة كبدها، احتضنته وأعلنت أن هاتفاً نادى بها وأخبرها بالمصيبة التي حلت بطفلها الحبيب، بعد ذلك راحت تكيل التهديدات للمدير والمربية والتلاميذ بعد أن اتهمتهم جميعاً بالتآمر على طفلها المسالم الحساس، ثم أشارت إلى جلنار المضرجة بالدماء واستغربت ترك المجرمة أمام مسعود، وبنبرة تضج بالغضب والاحتجاج طالبت برميها على أقرب كومة قمامة وإلا....!

إلى أدونيس.. إلى مهيار الدمشقي

بشير عاني

في الأرضِ المترامِيةِ الأشواقِ
في السّموات المنسية دون وثاقِ
كنتَ يا مهياز..
تُطعِمُ نجماً بيدٍ..
ويدٌ تفتحُ بواباتِ الشمسِ على مصراعيها..
ترمي لنهاراتٍ أخرى..
أرغفةَ الإشراقِ

***

في الأرض المترامية الأشواقِ
في السَّمَوَات المنسِيّة دون وثاقِ
أقْطعتَ الأسماءَ أراضيها
أوثقتَ اللهفةَ بالأحداقِ

***

يتشعبُ جِلدُكَ يا مهياز
تبصقُ عيناكَ على مائدةِ الإلفةِ..
في الليل ثقوبٌ تنسلُّ مياهُكَ منها..
حتى في غيمِ الرغباتِ..
ستندس شَرَاز

***

يا مهياز
كم أطلقتَ الظبيةَ في أثَرِ الذِّئبِ..
وأشعلتَ الصوتَ بحنجرةِ الأضداد
حَرّضْتَ العُصفورَ على خرطوشِ الصيَّاد
ناديتَ الريحَ..
أيا ريحُ انتظري..
ثمة وردٌ يتسكعُ في الطرقاتِ بدون رِداءْ
ثمة لغة تتسكع في دمنا هاربةً نحو عروق الأحفاد

***

ما إن طيَّرتَ الوسواسَ
عقدتَ قِرانَ اللغةِ العانسِ..
زوجتَ الكلماتِ وقلتَ أقيموا الأعراسَ
ما إن ألقيتَ عَصَا الملأَ
وخلعتَ على الشعر وثيرَ الحلةْ

حتى انفتحتْ للقولِ ممالكُ..
والأحرفُ سارتْ دونَ التاجِ..
وسرَّحتِ الحراسَ

***

ما إن أشعلتَ بنا الأصواتَ
أطلقتَ سراحَ الجنيِّ.. ضَحكْتَ على ما فاتْ
مرغتَ السُّلطَانَ بطينِ اللغزِ..
لكزتَ الأرواحَ المرميةَ.. صِحتَ بها قِزّي
حتى هَامتْ أرضُ الأشعارِ بناي الحِنطةِ
هَسهسةِ الوردِ الشاميِّ..
عتابا الأرزِ

***

ما أنتَ طريدَتهمْ يا مهياز
ما أنت الوحشَ الضاري
لكن.. أطلقتَ عُواءَ الأشجار بنا..
أظهرتَ دماً لفصيلةِ وردٍ مغدورةْ
فاستعْديتَ عليك الفقهاءَ وحُراسَ اللغةِ المذعورةْ

***

عصافير

وجدان يوسف أبو محمود

أطفأَتْ التلفاز، فحلَّ الهدوء فجأةً وانسحبت من المكان آثار الصخب، حدّق زوجها فيها مندهشاً، مستنكراً أن تقطع نشرة أخباره، همست وهي تومئ برأسها: إنّه خائف. التفت سريعاً نحو طفله، ليجده بين مكعّباته المبعثرة شاحباً مسحوب اللّون متوقّفاً عن بناء قلعته العزيزة، وعيناه المفتوحتان على وسعهما شاردتان في الشاشة حتى بعد اسودادها. قام إليه مداعباً، تمتم وهو يقبّل شعره الفاحم: وسيم بطل. لم يستطع أن يداري فكرةً اندلقت لوهلةٍ في رأسه... فهذه لم تكن المرّة الأولى التي يرى فيها طفله بذاك الفزع، إذ سرعان ما تذكّر حالته يوم دخل عصفورٌ من النافذة، وكيف آذاه بمنقاره وانسلَّ بعد ذلك بين الستائر لتسيل منه ريشاتٌ ناعمة ارتعد لأجلها جسد الصغير وصار من وقتها يخاف العصافير، لقد بات خوف ابنه المتكرّر يحرّك فيه ألمه خاصةً بعد أن سمع مرّةً الأولاد ينادونه (خوّيف). غاب للحظات ثمّ رجع ومعه شيءٌ ما، سأل وهو يثقب حبةً من القمح المنقوع ويدخلها في الخيط: من يريد أن يأكل عصافير؟، رفع وسيم يده مجيباً: أنا أنا، وكأنّه فهم من طريقة السؤال أنَّ المقصود هو (من الشاطر؟)، قال الأب الذي أضاف إلى الخيط خرزةً صغيرة: لحم العصافير طيّب، ثمّ أردف وهو يفتح الفخّ ويضعه على الشرفة: راقبها غداً كيف ستعلق هنا...

***

استيقظ بمزاجٍ سيئ، حتى كاد يحطّم المنبّه الذي فشل في إيقاظه باكراً، خرج على صياح الجيران المتشاجرين كالعادة، ولأنّه خشي أن تؤخّره المواصلات الزاحفة، فقد استقل سيّارة أجرة، ولكن إن هي إلا لحظات حتى علقت هي الأخرى في الزّحمة، وتعثّرت بإشارات المرور. وصل متأخّراً جدّاً، فكان عليه أن يخترع لمراقب الدوام كذبات بيض وسود، وأن يصطنع الودّ و«يمسّح الجوخ» بطريقة مذلّة، جلس خلف مكتبه، وهو يغلي ويلعن الساعة التي شهق فيها الحياة، وبالكاد خفت توتّره وهدأ القلم المضطرب تحت سبّابته، حتى أخبروه بأنّ المدير كان قد استدعاه قبل أن يغادر...

***

التصقت بالزجاج يدا وسيمٍ ووجنتاه، وتلألأت عيناه المنهمكتان بالحراسة. كانت رائحة الأرزّ تسبح في الهواء، بينما جالس والده التلفاز ريثما يجهز الغداء، طقطق في أذنيه صخب نشرة الأخبار، في حين طنّت في أذني أبيه جملةٌ واحدة: طلبك المدير أكثر من مرّة، تفاقم ارتباك الرجل كثيراً، وجرّته المخاوف وراءها لآخر الدنيا، الأمر ليس بالشيء العابر؛ حيث لم يمضِ الكثير على تهديد المدير الأخير، ضاق صدره المشحون، وهيّجه الخوف على مستقبله الوظيفيّ، ما دفعه ليصرخ بنزقٍ: سنموت جوعاً... (خلصينا).

رفرف فجأةً قلب وسيم، فقد لمح عصفوراً ينطُّ نحو المصيدة، تملّى في عينيه السوداوين وفي ذيله الرشيق، ثم رآه يتقدّم نحو حبّة القمح؛ ويحاول انتزاعها بمنقاره ثمَّ (هوب) ينطبق الفخُّ بقوّة على رجله الصغيرة، يتخبّط العصفور ويضرب بجناحيه في كلّ اتجاه؛ إلى أن تذوب قواه ويخرُّ صريعاً. ركض الطفل نحو أبيه يشدُّ ذراعه: بابا، بابا... عصفورة! خبّأ الأب خوفه على عجل، وتظاهر بشيءٍ من السعادة، بعد أن حرّضت لمسةُ الصغير ابتسامته: حقاً ... تعال نراها، حرّر العصفور بعد أن تأكّد من مقتله، ثمّ قرّبه من وجه ولده: أنظر يا وسيم... العصافير لا تخيف... إننا أقوى منها؛ ونستطيع أن نأكلها أيضاً... أمسكه... هيا، تردّد الطفل كثيراً؛ فحيناً يقرّب يده، وآخر يبعدها إلى أن تجرّأ أخيراً؛ وحمله تحت وقع التشجيع: (ممتاز)، أحاطت الأصابع الصغيرة بالجسد الريشيّ الحار، تحسّست حماوة الزغب الحريريّ، ووصلت كما السحر دفء العصفور بدفء وسيم، لم يكن هناك نبض، لكن بقايا الحياة العالقة فيه أغرت الصغير باحتضانه. عاود الرجل إشعال همومه بعد أن اطمأن إلى مسح خوف الولد، لكنّ وسيماً سرعان ما اقترب منه وهو يفتح عيني العصفور: إنه لم يمت. تحامل على قلقه، وجمع شيئاً من اللطف: بل مات يا حبيبي.

- لم يمت إنه متعب فقط.
- أعطه لأمك كي تشويه لك.

أوحى صمت الطفل لأبيه بأنّه قد ارتاح من مجاراته، لكنه رجع بعد لحظاتٍ بإصرار أكبر فارداً جناحي العصفور بيديه: يريد أن يطير.

- أف... قلت لك إنّه ميت ... أعطه لأمك.
- لا..لا.. لا.
- ماذا تريد؟
- أريده أن يرفرف.
- ألا تريد أن تأكله؟
- لا... سآكل الأرز، وهو أيضاً.
- إنه ميت ألا تفهم؟!
- لا

فقد أخيراً أعصابه، وخرجت هواجسه ومخاوفه، وتمدّدت فوق إرهاقه، فأفلت غضبه وصرخ بقسوة:

- إنه ميت يا حمار.

تكهرب جسد الصغير، احمرّت وجنتاه وبهت لونه، أفلتت يده المرتجفة العصفور فسقط، فاضت عيناه، وردّ من شدّة الخوف بأدب: أجل... ميّت.

رحلة

جودي العربيد

ليست المرّةَ الأولى التي أسافرُ فيها إلى تلك المدينة.

حجزتُ مكاناً لي سلفاً في حافلةِ الصّباح. وها أنا أُباكرُ لأصلَ في الوقتِ المحدّد.

استلمَ مساعدُ السائقِ تذكرةَ الصّعودِ إلى الحافلةِ، وأرشدني إلى مكاني..

إلى جانبي تجلسُ فتاةٌ تحفّظتْ عن محادثتي في البداية، وبدا ذلك واضحاً حين ألقيتُ عليها بتحيّتي. أجابتْ برفّة من هُدبيها. ثم قطّبتْ حاجبين من كحلٍ ليليٍّ.

قلتُ لنفسي: يا لحظي..! فأنا لا أخرجُ من أجمةٍ إلا لأقعَ في أخرى.. يا فتّاح يا عليم!.. لم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتّى راحت الفتاةُ في غفوةٍ رهيفة على هَدْهَدةِ الحافلة, ثم انزلقتْ برأسها على كتفي.

عدْتُ أُحدّثُ نفسي: ليس من اللائقِ أن أوقظها. فقد تكونُ مرهقةً، ولم تنمْ ليلتها. وذهبتْ بي الظّنون..

تركتُها فترةً لا بأسَ بها. لكن المفاجأة عودةُ مساعدِ السائقِ ليوزّعَ شيئاً من الماء على الركّاب. سألني عنها.. فأجبتُ أنْ لا أدري.. أيقظَها، فأجابتْ:

آه ليته تركني، فقد كنتُ في حلمٍ ربيعيّ.

قلْتُ:

- وأيّ حلم؟ فلم تُجبْ؛ بل اكتفت بأنْ حرّكتْ حاجبيها، وزمّت شفتيها، وعادتْ إلى وضعها الأوّل.

قلتُ لنفسي: لن أسمحَ لها بتوسّدِ كتفي ثانيةً. خاصّةً وأنّها تجعلني أبقى خشبةً، وأبقى كرسيّاً.

ويا لروائح العطر إذ تفعلُ فعلها ! فقد أرغمتْني على أن أستسلمَ للصمتِ. وكانت قد تركتْ النافذةَ قربها مفتوحةً، فأخذتْ نسماتُ الصّباحِ تطلقُ بشعرِها النّاعمِ على وجهي، بحيثُ لم أستطعْ رؤيةَ أحدٍ من ركّابِ الحافلةِ الذين أخذوا ينظرون نحوي.

بعد برهةٍ استسلمتُ أنا الآخرُ لنومٍ حالمٍ. رأيتُ نفسي أركضُ في حديقةٍ تعقدُ أسرابُ الطيورِ احتفالاً فيها صانعةً عرساً لم أره من قبل. تلك الحديقة التي لم تُنسّقْ بيدِ إنسان. تُرِكتْ كما وُلدتْ، وقد رأيتُ أزهارها مغطّاةً بشوكٍ غريبٍ أيضاً. ومن حسن المفارقة انتشارُ أشجارٍ من أنواع لم أسمع عنها إلا قليلاً. وما لفتَ نظري آنذاك أصواتٌ عديدة تنادي:

هذه أرضُ زلازل.. انتبهوا، نحن على فوّهةِ بركان. فليتمسّك كلٌّ بمكانه.. فأدركتُ أنّ النهاية اقتربتْ، ولا بدّ من فعل شيء قبل وصول عزرائيل الماكر.

شعرتُ بجوعٍ يجتاحني. قلتُ:

- لماذا لا أذهبُ إلى تلك الشجرةِ؟

هناك مددْتُ بيدي لأقطفَ شيئاً منها. شعرتُ حينها بأنّني أعومُ على موجةٍ من عطرٍ، وأنّ الثّمرةَ ناعمة.. ناعمة, ورائحتها أزكى من النعنعِ، وأطيب من القرنفل. قلتُ لنفسي مرّةً أخرى:

- يا لهذا الزّمن.! كم من أوراق عمرنا سقطتْ هباءً على أجنحةِ الخريف..

ولم أستيقظ إلا حين أمسكتِ الفتاةُ بيدي سائلةً ببراءةِ هدهد:

- إلى أين أنتَ ذاهب؟!

توقّفت الحافلةُ لتتركَ بعضَ المسافرين، ومنهم تلك الفتاةُ على الرصيف. ثم استأنفتْ سيرها، فلم أجدْ بدّاً من النظرِ في الشّارعِ أمامي لأراه يتّسعُ.. يتّسعُ والأشجارُ والبيوتُ على جانبيه تعبرُ مسرعةً لتغدوَ نقاطاً صغيرةً ثم تبدو من خلفه خيطاً رفيعاً يمتدُّ متلاشياً في الأفق.

وصلتُ إلى مُبْتغايَ، لأجدَ أنَّ الغمامةَ السّوداءَ ما زالت على كتفي، وتلك الرائحةَ تسكنني، فأسترقُ نفساً طويلاً لأقول:

- آهٍ أيّها الزّمن ما أبخلك!

وقت المغرب من نيسان

عباس حيروقة

في زاويةٍ من
هذا العالم
في سورية
وقت المغرب
من نيسان
طافت روحي
سرب حمام
فرأت أنهاراً قد جفت
والآبار سلاها
الماء
وتلالاً تغمرها
الحرقة والآهات
أرهقها الدمع الواقف
في كل عيون
الآباء
.. ونساءً ثكالى
يألفن دروب
المقبرة لتطفح
آهاتٍ.. حسرات
..ورأت شالاتٍ تأذن
للريح بهدهدةٍ كي
تؤنس وحشة أمٍّ
أخفت آخر دمعتها
لتعفر تربة قبرٍ
تسكنه كل قناديل
العالم ذات مساء
طافت روحي ورأت..!!
من دهشتها امتلأت
أشجاناً.. عبرات
.. هي في سكرٍ ناحت
نادت في الآفاق:
أيا شهداءْ
* * *
في زاويةٍ من
هذا العالم
وقت المغرب
من نيسان
صاحت روحي ملء
مداها يااااا لغبائك
يا إنسان
* * *
في زاويةٍ
حارت روحي
مثل أنامل أمٍّ
وقفت كالقديسة
تستقبل تابوتاً
في أرض الدار
مثل مناديلٍ في
كف جميع النسوة
حين يشيع جثمانك..
جثماني.. يا جار
مثل الزغرودة
من أمة الله
.. كيف تهز برنتها
كل عقول..
قلوب الخلق
فنطلق من حرقتنا
آهً.. آه
نحن على دربٍ
ما أطولها..!!
والظلمة حالكةٌ
نتسلق كل
شبابيك الفجر
لعل يرانا
قمر الخالق
في وحشتنا
ولعل نراه
في زاويةٍ من
هذا العالم
تعرف روحي
ما معنى أن
يتكاثر موتٌ
أو يتناسخ
في الطرقات
..ما معنى أن
يتهاطل في
ذياك الليل
الباكي قمرٌ
وتموج بعتمتها
الحارات
ما معنى أن
يتساقط زهر
اللوز برمته
ويطال الموت
هنا الأموات
* * *
في زاويةٍ من
هذا العالم
أسأل دوماً
هذا الموت
أصرخ.. أشتم..
أبكي..
لا يبرحني هذا
الصوت
أعرف أني طين الخالق
أعرف أيضاً
أني من روحك
..هل تسمعني
يا رباه..؟
يرجف قلبي
كل مساءٍ
حين تهب
رياحك نحوي..
يا الله..
أتأمل هذي الأرض
تضيق.. تضيق
أيليق بروحك
أن تتهشم بين
يديك وأنت
رقيق..
ما أحزنني يا أماه
أجلي عيناي
بصورتك الربانية
عند الفجر
وأنشر ذاك الكفن
الأبيض حين يراني
..حين أراه
في زاويةٍ من
هذا العالم
يرجف قلبي
حين تهب
رياح الله.

تجلٍّ

زينة العبد الله الكفري

يمزّقني نحيب بنت الجيران.. يخترق أذنيَّ كعويل إنسانٍ مشوّه محترق.. يؤلمني وجودي هنا على الشرفة المجاورة من غير أن أملك لألمها شيئاً..

على الرغم من أنني لا أعرف عنها ما يتعدّى اسمها وشكلها ورائحة عطرها الذي أكاد أختنق به يومياً عند مدخل البناية وأنا في طريقي إلى العمل.. وعلى الرغم من أنّ كل ما أراه منها الآن هو امتداد ظلها على شرفة بيتنا.. إلا أنّ ثمّة ما يجعلنا متشابهتين أكثر مما نظن.. وعلى الرغم من أنني الآن أمثل لها ذلك الحضن الذي تحتاج إليه بشدّة.. إلا أنّ ثمّة ما يمنعني ويشدني إلى الكرسيّ مكتفيةً بألمي.. هناك ما يجمعنا أكثر من مجرّد كوننا وحيدتين ومخدوعتين وممزّقتين.. وهذه الليلة البائسة.. وهذا الحزن الأبكم..

يتعالى صوت العويل.. عبثاً أرفع صوت المذياع كي لا أسمع.. آخر ما أحتاج إليه الآن رحلة غير متوقعة إلى غرف الذاكرة.. وظل امرأة تنوح على شرفة بيتنا!

ألم أخبر ريتا البارحة أنني نسيت!!

لمَ كان عليّ أن أغليَ القهوة هذا الصباح وأسمع حديث أمي وجارتنا وهي تروي قصّتَكِ.. لمَ كان عليّ أن أسمع قصّتي من جديد.. أكان يجب أن تتشابه قصّتينا إلى درجة التطابق.. فعلاً هناك ما يجمعنا أكثر من مجرد كوننا غبيتين..

لقد أخبرت ريتا البارحة أنني نسيت.. واليوم أريد فعلاً أن أنسى..

يعود الأنين مبحوحاً متقطّعاً.. يرسم لديّ رغبةً في أن أخبرك بالكثير.. كيف أقنعكِ بأنَّكِ ستنسين.. كما فعلتُ أنا.. أضيعيهِ لتجدي نفسَكِ.. بقوتِكِ يضعُف.. الربيع لا يذكر وروده الذابلة.. يتابع بحثه عن ابتسامةٍ لها رنين ابتسامة أحلامكِ ذاته.. مئات الكلمات تتكاثر في حلقي كالصبّار.. من غير أن أقولها.. فأبتلعها, وأبتلع حنجرتي معها..

يعلو العويل.. يتحول إلى نوبات بكاءٍ هستيريّ.. لا أستطيع أن أفعل لك شيئاً.. أنت من عليه أن يفعل.. انهضي وأشعلي الضوء مبدئياً.. أحزاننا ترانا في الظلمة على نحو أوضح.. دعيه ينساكِ.. وإذا لزم الأمر ساعديه.. وصدّقيني لن يفعل.. خذي بيده وامضي به إلى حافة النسيان.. دعيهِ يتأرجح بين نشوة سقوطه وحلم عودته.. ضمّيه وادفني وجهه في كتفيكِ كما كنت تفعلين، ودعيه يفكر في ميلاده الجديد بينما تجهضينه من رحم الذاكرة.. ولا تنتظري عودته.. إن صبركِ لن يشبع غروره.. سيصيبه بالتخمة فقط.. ساعديه لينسى.. فيذكرك هو.. وتنسين أنتِ..

وغداً ستخبرينني بأنكِ نسيتِ كما فعلتُ أنا..

يعلو العويل.. ممزقاً يدخل أذنيّ ليخرج من فمي.. لا تبالي ستنسين.. أنصتي جيداً لوقع خطواته المغادرة.. كي تذكريها كلما أحسستِ بشهوة افتراسه حباً لو صادفته..

يقترب العويل أكثر فأكثر.. أتوحّد معه.. ويزداد الظلّ وضوحاً.. تغتالني آلامكِ.. أصبح أنا وأنت واحداً.. سور الشرفة يعلو ويرتفع.. يحبسني خلفه.. تتمرد قضبانه المعدنية وتستطيل.. تقترب منّي, تغرز مساميرها في عينيّ.. تقيدني إلى الكرسيّ تخترقني بشراسة سنانير حياكة غرست في بطن امرأة حبلى.. تتداعى جدران الذاكرة.. ويبقى جدار واحد هشّ كتب عليه اسمُكَ بخطٍ أحمرَ طفولي كجدار مدرسة ابتدائية امتلأ بهذيان تلاميذه.. تضيق بي الشرفة.. يهبط السقف ببطءٍ فوق صدري.. وأختنق بأنفاسي..

ألم أخبر ريتا البارحة أنني نسيت أن أنسى!!

يفتح باب الذاكرة على مصرعيه.. وتنهال الذكريات فوق رأسي.. كم أنا الآن بحاجة إلى أن أرتمي في حضنكِ.. أنتِ دون سواكِ.. أغادر كرسيَّ.. أسير باتجاه الشرفة المجاورة.. ويسير ظلُّكِ نحوي.. ويكبر..

يعلو العويل.. يستحيل صراخاً.. ويعلو معه ضجيج الحطام في الذاكرة.. أتّكئ مصدومةً على الجدار الفاصل بين الشرفتين.. لا أحد في المنزل المجاور.. الشرفة فارغة.. صمت مدهوش أوقف العويل.. لأسمع ارتطام دموعي على الأرض فوق امتداد الظّل إلى قدميّ.. إنه ظلّي!!

مقطتفات:

** كوابيس دمشق أم كوابيس بيروت

ما الفرق.. ما دامت جميعها كوابيس وما دمت سأستيقظ مفجوعة كل يوم أتحسس ثقب الرصاصة في صدري أبحث عن جثث مرمية بجانبي على السرير البارد في الغرفة الباردة المرمية في مكان ما من المدينة الباردة حيث الوجوه الباردة تركض مسرعة كل يوم إلى محطة القطار لتلحق بالـ(إس بان) المتجه إلى عملها.. حيث لا شيء أسهل من المسير في كرنفالات القفازات البيض والأقنعة..

هنا لاشيء أسهل من وأد الذاكرة..!

كوابيس دمشق أم كوابيس بيروت.. وما الفرق مادمت سأمضي نصف النهار في السرير أحاول أن أجد صلة ما.. بيني وبين الغرفة الباردة

وأمضي النصف الآخر مدهوشة أمام المرايا أتأمل ملامح تحولت لتندمج بملامح باردة مرمية في شوارع المدينة التي لا تنام..

أنا أيضاً كان لي مدينة لا تنام ذات يوم... وتختلف الأسباب..!!

كوابيس دمشق أم كوابيس بيروت.. وما الفرق ما دمت كلما ارتطم كرسي طاولة السفرة بالأرض سأركض إلى الشرفة أبحث عن دخان

متصاعد لانفجار ما في الذاكرة..!

ما الفرق مادمت سأمسك نفسي كي لا ألتفت لأصفع من تجلس خلفي في الباص كلما نادت إحداهن (غيتا)!!!..وأصرخ (اسمها ريتاااااا)...هكذا تلفظ... أو هكذا كانت تلفظ!!

كوابيس دمشق أم كوابيس بيروت.. وما الفرق ما دمت سأسرع كالبقية لألحق بالـ(إس بان) كلما تأخرت على إحدى مسرحيات رياء المغتربين في إحدى ملاهي (الغيبابان) لتكريم فرد جديد قرر احتراف النسيان واللامبالاة.. حيث سأبقى أخلط بين رائحة النبيذ الأحمر.. وشيء آخر..أكاد لا أذكر اسمه..

**

لربما كانت ليلى من ابتلع الذئب وجدّتها... ثم عادت إلى أمها تبكي وتشكو آلام عسر الهضم..!!

ولربما خرجت سندريلا مسرعة هرباً من أميرها الذي اتضح لها أن نظراته احتوت جميع أمراء الحفلة من غير أن يراها هي!!.. فهربت من غير أن تحين منها التفاتة إلى حذاء أسقطته وهي تركض مسرعة.. ومصادفة كانت الساعة الثانية عشرة ليلاً!!

ولربما كسرت بياض الثلج مرآة زوجة أبيها كي لا ترى قبحها وجمال زوجة الأب الطيبة التي لطالما عاملتها كأم!!.. وفضلت أن تعيش الدراما مع سبعة أقزام بعيدين كل البعد من أن يعرفوا الحقيقة!

لربما كانت الحسناء من دفع للساحرة كي تلقي بسحرها وتعاويذها على أميرها المسكين.. فتحتفظ هي وحدها بوحشها المدلل ويمقته الجميع!!

ولربما أكثرت أليس من تناول حبوب الهلوسة لا أكثر ولا أقل!!

ربما كان علي بابا من علّم الأربعة والأربعين حرامي السرقة!!

الأميرة البجعة كانت تعاني من الشيزوفرينيا!!

كوزيت لم تغادر مشفى المجانين قط!

ياسمين لم تحب علاء الدين يوماً!!

وريمي قتلت أمها بيديها ثم غادرت تبحث عنها!!

ربما.. ولم لا.. ما دامت الاحتمالات مفتوحة..

وما دامت عبارة سيئ حتى يثبت العكس تطنّ على مرمى المسامع..

الجامعة العربية والدور المقلوب /تتمة/

المتشدد بعد أن شكّل حكومته برئاسة (غسان هيتو).. وحضر وفدها برئاسة أحمد معاذ الخطيب (رئيس ائتلاف الدوحة) وعضوية (جورج صبرا، وغسان هيتو، وسهير الأتاسي، وعبد الباسط سيدا، وبرهان غليون) واحتفي بعلم الانتداب الفرنسي الذي وضع محل علم الجمهورية العربية السورية على منصّة الجامعة، بمثل ما احتفى أمير قطر بحضور الوفد مصفقاً له...

إذاً؛ مارست الجامعة العربية دوراً مقلوباً ومشيناً لم تعهده في تاريخها؛ فحين علّقت عضوية مصر عام (1979م) إثر معاهدة (كامب ديفيد) مع دولة الكيان الصهيوني بقي مقعدها شاغراً حتى رجعت إليه عام (1989م)؛ وحين أوقفت مشاركة ليبيا في شباط (2011م) ظلّ المقعد شاغراً ستة أشهر إلى أن وصل (المجلس الوطني الانتقالي) إلى الحكم بعد اغتيال العقيد القذافي؛ ورأت الجامعة العربية برئاسة أمينها العام (نبيل العربي) أن هذا المجلس غدا (الممثل الشرعي للشعب الليبي) ما جعلها تدعوه للحضور، علماً أن أي قمة عربية لم تعقد في المدة الزمانية التي علقت بها عضوية ليبيا.

أما ما جرى لمقعد سورية في الجامعة العربية فقد وقع في سياق تاريخي مخالف للمنطق ولميثاق الجامعة؛ علماً أنها لم تبال بتحفظ العراق والجزائر على منح المقعد للإئتلاف السوري المعارض على حين نأى لبنان بنفسه عن التصويت؛ فضلاً عن أن القرار العربي ليس قانونياً لأنه لم يكتسب صفة الإجماع الذي نصّت عليه المادة الثامنة من الميثاق.

وقد سوّغ نبيل العربي ذلك كله بعذر أقبح من ذنب حين طالب في كلمته الافتتاحية للقمة الرابعة والعشرين بتعديل الميثاق قائلاً: «بات من الضروري إجراء عملية مراجعة شاملة لميثاق جامعة الدولة العربية، والذي تمت صياغته عند نهاية الحرب العالمية الثانية في ظروف دولية وإقليمية لم تعد قائمة، بحيث تمكّن الجامعة من الاضطلاع بوظائفها التي تمليها عليها تحديات العصر بظروفه الدولية والإقليمية الحالية».

فالسيد نبيل العربي صمم على اللعب بالبيضة والحجر؛ مستغبياً العقل العربي الساذج؛ مسوغاً لنفسه اختراق ميثاق الجامعة بهذا العذر القبيح... فأي مراجعة للميثاق لا تتم في افتتاح القمة؛ وإنما تقدم من خلال دراسات مسبقة، ثم يتخذ مؤتمر القمة القرار بذلك؛ ومن ثم يجري التنفيذ... ولا يجوز أن ينفذ أي قرار قبل هذا الإجراء القانوني... لكن الجامعة بقيادة إمارة الغاز خالفت ميثاقها، وأخذ بعض الحاضرين يعلل هذه المخالفة بالحرص على سورية وإيقاف نزيف الدم؛ إذ قال وزير الخارجية والتعاون الدولي الليبي محمد بن عبد العزيز، مثلاً: «نحن نحترم الآراء في الجزائر والعراق لكن الوضع الميداني ومعاناة الشعب السوري وتواصل تحطيم البنية التحتية للسوريين تجعلنا لا نفكر كثيراً في الجانب القانوني للجامعة، حتى لو لزم الأمر أن نضحي بالجانب القانوني حماية لشعبنا في سورية»...

فأي حُمْق هذا الذي يصدر عن هذا الوزير؟! فنحن نسأله: هل إعطاء مقعد سورية لطرف معارض متشدد ـ وقد انحازت إليه القمة بأنظمتها الفاقدة للشرعية الشّعبية. يمكن أن يوقف سفك الدماء، أو أن يحقق تلك المهمات التي تحدث عنها؟!! ثم ألم يسمع باعتراض الأطراف الأخرى من المعارضة على تصرف الجامعة بدعوة طرف منها ليمثل سورية في القمة المذكورة؟!! ثم أليس في منح المقعد لذلك الطرف تأجيج للحرب؛ واستمرار للقتل والدمار، وعدم إخلاص النية في الهدف الذي تعلنه القمة والجامعة للعالم كله؟!.

فالجامعة العربية، الممثلة بقرارات وزراء خارجية دولها؛ وقمتها الرابعة والعشرين تقوم بدور مقلوب ومشين؛ وسيسجله التاريخ في حقبه السوداء.

قضيتنا بين التخطيط والارتجال /تتمة/

ـ انتصار الحلفاء على دول المحور ـ فسخروا الغرب كله لخدمتهم في إقامة كيانهم على أرضنا أسموه «إسرائيل». مستفيدين من حكاية (الهولوكوست) إياها، التي كان الغرب محورها ـ بغض النظر عن صحتها من عدمها ـ وعلى الرغم من ذلك عمل الغرب الظالم على تعويضهم عن جريمته على حساب شعبنا وأمتنا وأوطاننا. وإذا كانت عصبة الأمم، في حينه قامت بدورها في خدمتهم إثر الحرب العالمية الأولى، فقد جاءت هيئة الأمم المتحدة بعد ذلك لتقوم بأخطر دور تآمري على شعب من الشعوب في التاريخ كله، عندما اعتمدت تقسيم فلسطين وإنشاء دولة لليهود على أنقاض شعبها، فشردته وقتلته واستولت على دياره وأملاكه عنوة واقتداراً واغتصاباً؛ مع كل ما رافق ذلك من مآس وأحزان ومعاناة لذلك الشعب المنكوب. الدور الذي اضطلعت به أمريكا يومئذ هو الذي أقام الكيان الإسرائيلي بفعل الضغوط التي مارسها بالتهديد والوعيد على أعضاء الهيئة إياها.

3 ـ استغلت الصهيونية العالمية والكيان الإسرائيلي، (الوليد غير الشرعي) لدول الغرب، حقبة الحرب الباردة بين عملاقي ما بعد الحرب ـ المعسكرين الشرقي والغربي ـ فلعبت على تناقضات الحرب الباردة بينهما، فاستطاعت إكساب الكيان (شرعية دولية)، ثم ما تلا ذلك من تمكينهم من إلحاق هزائم متلاحقة بالعرب، ميدانياً على الأرض، ومعنوياً بالتأثير في سمعتهم؛ بحيث أصبحوا، تبعاً لذلك، في نظر شعوب العالم (متخلفين وإرهابيين)، وما إلى ذلك من صفات لا تنطبق إلا على الأعداء من يهود ومن صهاينة الغرب أنفسهم.

وعلى مدى تلك الحقبة التي امتدت حتى انهيار الاتحاد السوفياتي في أوائل التسعينيات، ثم ما أعقبها من قيام القطب العالمي الواحد، وهو الداعم (والشريك الكامل) لكيان العدو الصهيوني والمتأثر باللوبيات الصهيونية والمحافل الماسونية وغيرها من تنظيماتهم الشيطانية، تمكنت «إسرائيل» بفضل الضالعين معها هؤلاء، وعلى رأسهم القطب الأوحد الأمريكي، من جعلها الأقوى من سائر العرب مجتمعين.. (وهم ليسوا مجتمعين ولا مجمعين على شيء في واقع الأمر..!) وحبذا لو أنهم بقوا كذلك وحسب؛ لأن بعضهم بلغ به الأمر أنه بات ضالعاً مع الصهاينة، موالياً لهم، ناسياً قوله تعالى: (ومن يوالهم فإنه منهم). أكثر من ذلك استطاعت، ومعها حلفاؤها، من تحويل العداء لها إلى عداء لمن يناصرهم ويؤازرهم وهذا مدعاة للعجب العجاب حقاً.

ولا ينبغي أن تفوتنا الإشارة إلى أن «إسرائيل» امتلكت القنبلة الذرية منذ الخمسينيات، أي بعد قيامها بقليل، في حين عجزت أو لنقل منعت الدول العربية من امتلاكها، ولو للدفاع عن نفسها، أو للردع، وليس لمحاولة استعادة ما اغتصب من وطن وحقوق.. بل إن العرب لم يفلحوا حتى في الاستجابة الدولية لنزع سلاح «إسرائيل» النووي والمنطقة كلها. واستجابة العرب ورضوخهم لهذا الوضع في هذه المسألة عجيبة غريبة لم يشهد لها العالم مثيلاً؛ إذ إن كياناتهم كلها معرضة للدمار، أراضٍ وبشراً، وعلى كل صعيد. أمنية العدو الكبرى اليوم؛ بل سعيه الحثيث أيضاً هو أن تظل حال العرب على ما هي عليه إلى ما لا نهاية؛ بل إن «إسرائيل» واليهودية العالمية وأنصارها في الغرب يعملون الآن على مزيد من التدمير للكيانات العربية، وعلى مزيد من الفرقة والتجزئة والانقسام وقيام المحاور المتنازعة بينهم لسببين رئيسيين هما:

*ضمان استمرار الكيان الصهيوني قوياً عزيزاً مهيمناً بقدر ما هو ممكن.

*استغلال الثروات والأموال والإمكانات العربية، بما في ذلك موقعهم الجغرافي الاستراتيجي بين القارات وطرق المواصلات العامة.

والصهيونية واليهودية العالمية شريكتان في ذلك كله سراً أو علانية.

* * *

غير أن المتغيرات الدولية الجارية راهناً ومستقبلاً كفيلة بوضع حدٍّ لما درجوا على فعله وتدبيره حتى الآن.

*بروز وعي جديد لدى الأجيال العربية القائمة والقادمة، وظهور الحقائق أمام أعينهم وفي عقولهم جلية واضحة، ومن ثم العمل، من جانبهم، على إفشال المخططات المعادية كائنة ما تكون. هذا إضافة إلى تعزيز جبهة مقاومة صامدة وقادرة على إلحاق الهزيمة النهائية بالعدو، وهي ممكنة تماماً، ولنا شواهد مما جرى عام 2006 من هزيمة له في جنوب لبنان و2009 و2012 هزيمتان في غزة بفلسطين.

*قيام أقطاب عالمية جديدة أنهت حكاية القطب الأوحد المنهار اقتصادياً، والمنحسر النفوذ في الهيئات والأوساط والمحافل الدولية بحيث لن يمضي وقت طويل قبل أن يغدو قطباً من الدرجة الثانية.

*أوضاع العدو في داخل كيانه وما هو عليه وفيه اليوم من اضطراب وارتباك وخوف على المصير. فهو يعرف تماماً أن وجوده أصبح «على كف عفريت». وما كان له من قوة فيما مضى، وما كان يخطط له ليكون القوة المهيمنة، الآمرة الناهية في المنطقة، لاسيما عن طريق الدعم الذي يتلقاه من حلفائه الغربيين، وعلى رأسهم الولايات المتحدة، ذلك كله أمسى في خبر كان، ومن أحلام الماضي التي باتت مجرد أضغاث. لقد أفل نجم العدو بعد سطوع زائف امتدت حقبته نيفاً وستة عقود.

وبعد، فإن مصير الكيان الإسرائيلي كوجود بات اليوم رهن أول شرارة حرب تقوم على أي من جبهات المقاومة، وما نحسب ذلك بعيداً.

أترانا سوف نشهد يوم العودة، إلى ديارنا قريباً..؟

بلى؛ فالسؤال الذي كان قائماً دونما إجابة شافية، يمكن الإجابة عنه الآن بالقول:

الوضع اليوم بات معكوساً، فالعدو هو الذي دخل مرحلة التخبط والتصرف العشوائي، والاستجابة للأحداث بردة الفعل الآنية المتعجلة بفعل المقاومة والمقاومين، في حين أصبح الجانب المقاوم العربي، وبعض الإسلامي، متسماً بالتدبير والتخطيط والإعداد والتنظيم بما يكفل انعكاس النتائج، بحيث تغدو المبادرة والقدرة على الانتصار في هذا الجانب؛ الأمل والرؤية والحقيقة المؤكدة معاً في ارتقاب اليوم المشهود الآتي.. وإن غداً لناظره قريب.

جماليات رواية فيليب روث /تتمة/

قادراً على مواجهة القهر، الذي تعرض له، ليحقق ذاته، ويحصّنها أمام الممارسات العنصرية، التي كان أخوه «والتر» لا يستطيع احتمالها! وبذلك قاوم إحساسه بالنقص والدونية ببذل مزيد من الجهد والتفوق، كي يمتلك مشاعر تعويضية، تهبه التوازن النفسي!!

كما عاش «كولمن» في طفولته معاناة والده، الذي كان يعمل عملاً متواضعاً (تقديم الطعام في القطار) على الرغم من حصوله على الإجازة الجامعية في علم البصريات، وفوق ذلك يعاني من مواقف عنصرية، يبذل جهده، كي يخفيها عن أولاده؛ إذ من أجل الاحتفاظ بوظيفته، كان عليه أن يساير، ويضغط على أعصابه، لهذا يبيّن لأولاده: «ليس صحيحاً أن الزنوج من ذوي البشرة الأفتح، يعاملون على نحو أفضل»، فالآخر لا يرى سوى اللون المختلف، من غير أن يهتم بتدرجه، وإن كان هذا اللون الفاتح، يسهل عملية الانتماء لعرق الآخر، كي يخفف معاناته، كما فعل «كولمن»!!

لكن هل حقق نجاحاً في حياته، حين انتزع «ذاته» من محيطها؟ هل الانتماء إلى الآخر يحلّ مشكلة التحيز العرقي؟

تكمن مأساة الشخصية في أن لعنة التمييز العنصري لاحقتها، وآذت حياتها خاصة في لحظة من أدق لحظاتها وأضعفها (مرحلة الشيخوخة) فبدا متهماً بما عاناه، وذلك حين نظر إليه الآخرون بصفته «أبيض» يستخدم لغة متحيزة تؤذي مشاعر الطلاب الزنوج، وبذلك عاش عقوبة الانسلاخ مضاعفة، في عمر أشد ما يكون إلى الإحساس بأمان الانتماء وسكينته!

جماليات البناء الروائي:

يلحظ المتلقي أن رواية «الوصمة البشرية» تقوم على بناء روائي ساخر، إذ حاول البطل أن يخلّص نفسه من تحيزات عنصرية ضد عرقه الأسود، وذلك بانتمائه إلى عرق الآخر، لكنه يتهم في شيخوخته بممارسة ما هرب منه طوال حياته! وسيكتشف المتلقي ملامح هذه السخرية، حين يصل إلى خاتمة الرواية، وقد ساعد البناء الدائري على إيضاح البناء الساخر تدريجياً! إذ تبدأ الرواية بتهمة «كولمن» بالتحيّز وعقوبة الفصل من الجامعة، وتنتهي بمعاناته في الطفولة والشباب من وصمة تلك التحيزات على وجدانه، فقد آلمه، وحفر في نفسه في طفولته، أنه لم يُدعَ إلى أية حفلة عيد ميلاد يقيمها صديقه الأبيض، على الرغم من أنهما متجاوران في المنزل، ويترافقان في الطريق إلى الحضانة.

حاول «كولمن» أن يعيش وفق أنانيته؛ أي وفق سياق فكري ذرائعي، شاع في أمريكا، فهو يريد أن يعيش في فضاء يتسع لطموحه، وهذا لن يكون إلا بترك عائلته، وترك كل «التشعبات الزنجية» ليحاول أن يكون كائناً جديداً، يستمتع بكل الميزات المتاحة للإنسان الأبيض، ويخلص نفسه من كل التعقيدات والآلام التي تلاحق الأسود

سلماوي رئيسا لاتحاد كتاب مصر

فاز الكاتب الصحفي محمد سلماوي، اليوم، برئاسة اتحاد كتاب مصر بالتزكية، وذلك للمرة الرابعة على التوالي.

كما انتخب الدكتور أحمد مرسي نائبا للرئيس، ومصطفى القاضي سكرتيرا عاما للاتحاد، والدكتور مدحت الجيار أمينا للصندوق.

كانت انتخابات التجديد النصفي لاتحاد كتاب مصر، قد أسفرت عن فوز الدكتور محمد سلماوي، ومصطفى القاضي، وعبده الزراع، وجابر بسيوني، وحسين القباحي، والدكتور أيمن تعيلب، والدكتور صلاح الراوي، وعاطف الجندي، والدكتور يسري العزب، وبهاء الدين رمضان، والأمير أباظة، وربيع مفتاح، وخليل الجيزاوي، والدكتور حامد أبوأحمد، والدكتور جمال العسكري بعضوية مجلس الإدارة.

جائزة أستريد ليندغرين

تم الإعلان عن نتائج جائزة أستريد ليندغرين لأدب الطفل لعام 2013، وقد فازت بالجائزة التي تمنحها سنوياً الحكومة السويدية والبالغة قيمتها خمسة ملايين كرونة (770 ألف دولار) الكاتبة والرسامة الأرجنتينية ماريسول ميسينتا الشهيرة بـ «إيسول»، متفوقة بذلك على عدد كبير من الكتاب الذين تنافسوا على هذه الجائزة التي تعد أكبر جائزة تمنح لأدب الطفل على مستوى العالم.

ولدت ايسول عام 1972 في العاصمة الأرجنتينية بوينس آيريس ولها عشرة كتب رسمت صورها بنفسها، كما تمارس الغناء والتلحين أيضاً، وقد رأت لجنة تحكيم الجائزة أن ايسول أبدعت كتبها المصورة من «مستوى عين الطفل».

أسست الحكومة السويدية جائزة أستريد ليندغرين عام 2002 وسمّيت بهذا الاسم تخليداً للكاتبة السويدية أستريد ليندغرين (1902-2002) التي تخصصت في سبر أغوار عالم الطفولة وأحلامه، وأبدعت في تأليف أجمل الروايات التي امتازت بالجمال والحكمة والتندر والفكاهة والألفة ونبذ الصراعات والاقتتال.

مسابقة الشيخ صالح العلي الشعرية

أعلنت مديرية الثقافة في طرطوس عن فتح باب الترشيح لجائزة المجاهد الشيخ صالح العلي الشعرية عام 2013، كما أعلنت عن شروط الترشيح لهذا العام كالتالي:

أن لا تكون القصيدة فائزة بمسابقة أخرى أو منشورة.

أن تكون القصيدة مكتوبة باللغة العربية الفصحى.

لا يحق لمن فاز بالمسابقة خلال الأعوام /2009- 2010 - 2011/ المشاركة لهذا العام .

ترسل القصيدة على ثلاث نسخ مكتوبة على الحاسب مغفلة من الاسم، ويكتب الاسم على قصاصة ورقية أخرى.

كما تم الإعلان عن قيمة الجوائز لهذا العام وهي: (20000) ل.س. للمرتبة الأولى و (15000) ل.س. للمرتبة الثانية و(10000) ل.س. للمرتبة الثالثة، كما تحدد يوم 2013/5/31 كآخر موعد لاستلام المشاركات على العنوان (طرطوس- ديوان مديرية الثقافة- شرق حديقة الباسل)، على أن يعلن موعد حفل تسليم الجوائز للفائزين لاحقاً.

البياتي... في فيلم سينمائي

ضمن فعاليات «بغداد عاصمة الثقافة العربية لعام 2013» تقرر إنتاج فيلم سينمائي يعنى بتجربة الشاعر الكبير عبد الوهاب البياتي، ويسلط الفيلم الضوء على فكر الشاعر البياتي الذي يعد واحداً من مؤسسي مدرسة الشعر الحر، والذي استطاع أن يغير مجرى الشعر العربي من خلال تأثره بعدد من الشعراء كالمتنبي والمعري، وتفاعله مع عدد آخر كبدر شاكر السياب ونازك الملائكة. لا يتطرق الفيلم إلى حياة الشاعر الراحل الشخصية بل يركز على تجربته الشعرية في مختلف مراحلها، ويتم الآن تأليف الموسيقى والألحان الخاصة بهذا الفيلم الذي سيتم تصويره في عدد من المواقع كمنطقة باب الشيخ البغدادية ومرقد الشيخ عبد القادر الكيلاني.

امرأة من ندى

ضمن سلسلة القصة من إصدارات اتحاد الكتاب العرب لعام 2013 صدرت مجموعة جدية للقاص حسن ابراهيم الناصر.

يجول حسن ابراهيم الناصر عبر قصص المجموعة في عالم النفس البشرية وما فيها من ثنائيات حادة في تقابلها وتضادها وانكشافها وعالم المجتمع وما فيه من أحداث وحادثات وأخبار وأذيات وطموحات ورغائب ظاهرة ومضمرة في آن.

مجموعة تهيم في فضاءات المشاعر الإنسانية على تنوعها واختلافها، ترفّ بين سطورها روح وطنية نبيلة سامية، وتنساب من حروفها شحنة عاطفية وجدانية حساسة مرهفة تلامس القارئ بكثير من الدفء.

أسرار سيمون دوبوفوار... العاطفية....

مع أنها رحلت عام 1986، بقيت الروائية والفيلسوفة الفرنسية سيمون دوبوفوار محور أبحاث عدد كبير من الكتاب المهتمين بإرثها الفكري والأدبي وحياتها الشخصية وعلاقاتها العاطفية وأسرارها الحميمة، سيما ما يتعلق بالعلاقة الخاصة والنادرة التي ربطتها بالفيلسوف الوجودي جان بول سارتر الذي دخل معها في شراكة فكر وحب سرية لم تنته إلا بالموت، حيث كانا يقضيان الوقت معاً في محاورات ومناقشات فلسفية عميقة ومطولة.

وقد صدر مؤخراً في فرنسا كتاب جديد عن سيمون دوبوفوار من إعداد جان لويس جانيل وإيليان لوكارم، ويتناول هذا الكتاب مجموعة من الرسائل غير المنشورة سابقاً تبادلتها الراحلة مع بعض صديقاتها ويتطرق إلى الرواية التي كتبتها في سن مبكرة بعنوان «الرحيل» إضافة إلى مراسلاتها العاطفية مع كل من نلسون الغرين وجان بول سارتر.

يبرز الكتاب مدى ولع سيمون دوبوفوار بالأدب ومدى مناصرتها لقضايا المرأة ومساندتها لحركات تحرر المرأة في شتى أنحاء العالم.

من الجدير بالذكر أن سيمون دوبوفوار ولدت في باريس عام 1908 وتلقت تعليمها في مدارس باريس الخاصة وحصلت عام 1929 على شهادة الأستاذية في الفلسفة وعملت كأستاذة لتدريس الفلسفة حتى عام 1943.

لها مجموعة من الروايات منها (العنيفة) و (دم الآخرين) و (الجنس الثاني) كما كتبت سيرتها الذاتية في أربعة أجزاء مؤرخة بذلك لثلاثين عاماً من الحياة الفكرية في فرنسا، وثمّة جائزة تحمل اسمها وتُمنح لحرية النساء في العالم، وقد تأسست عام 2008 بمناسبة الذكرى المئوية لولادتها.

تعزية

اتحاد الكتاب العرب وأعضاء المكتب التنفيذي يتقدمون بأحر التعازي من الزميل سمير صارم بوفاة والدته.

راجين الله عز وجل أن يتغمد الفقيدة بواسع رحمته ويلهم أهلها وذويها الصبر والسلوان.

إنا لله وإنا إليه راجعون

المراسلات:
الجمهورية العربية السورية - دمشق -ص .ب(3230) - هاتف 6117241-6117240
-فاكس 6117244- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير. هاتف الاشتراكات 6117242

ثمن العدد داخل القطر 15ل.س - في الوطن العربي: 0,5 $ خارج الوطن العربي1$ أو ما يعادله. تضاف أجور البريد للمشتركين خارج سورية

الاشترك السنوي -داخل القطر:أعضـــاء اتحاد الكتاب العرب 500 ل س - للأفـــراد1000ل.س -وزارات ومؤسسات1217ل.س - في الوطن العربي:للأفراد300 ل.س أو30 $ - للوزارات والمؤسسات 4000ل.س أو40$-خارج الوطن العربي:للأفراد 6000ل.س أو 120$ - للمؤسسات7000ل.س أو140$ والقيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفي لأمر اتحاد الكتاب العرب -دمشق ويرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد.

الآراء والأفكار التي تنشرها الصحيفة تعبر عن وجهات نظر أصحابها

www.awu.sy
E-mail : aru@tarassul.sy

للنشر في الأسبوع الأدبي

يراعى أن تكون المادة:
- غير منشورة ورقياً أو عبر الشابكة.
- منضدة ومراجعة ومدقّقة مع مراعاة التشكيل حين اللـزوم، وعلامات الترقيم.
- لا تتجاوز المادة المرسلة /800/ ثمانمئة كلمة.
- يرفق مع المادة (C.D) أو ترسل عبر البريد الإلكتروني.
- يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.
- لا يرسل الكاتب أكثر من مادتين.

بيان اتحاد الكتاب العرب حول التفجير الإرهابي بين السبع بحرات والشهبندر في (٢٠١٢/٤/٨م)

من جديد تمتد الأيدي الإرهابية السوداء القذرة الجبانة.. لتزرع القتل والدمار في دمشق عبر تفجير بشع طال المنطقة بين ساحتي السبع بحرات والشهبندر يوم الاثنين (2013/4/8م)، ولتحصد الأرواح البريئة الآمنة، من المارة والطلبة الصغار وهم في باحات مدارسهم، وأرواح المؤمنين وهم في بيت من بيوت الله.

تمتد تلك الأيدي الدموية - مرة أخرى - وبالجنون الهستيري ذاته، وبالعماء الأسود نفسه إلى دمشق لتغتال أمانها وسكينتها ومحبتها.. فالوالغون في الجريمة والحقد على الشعب السوري وصلوا إلى أبعد الطرق المغلقة المسدودة للعقل، والمنطق، وأصروا على تفجير الحياة وممارسة الإرهاب بأقبح صوره المقززة.

إنهم بفعلتهم الشائنة هذه، وبالدموية المميتة القاتلة.. وبتسللهم الجبان إلى الأماكن الشعبية الآمنة.. يقولون للعالم أجمع: إنهم كائنات متوحشة، لا علاقة لهم بدين، ولا بوطن، ولا بإنسانية... إنهم لا يعرفون قيماً، إنهم خارج التصنيف البشري.

.. إن هذا الفعل الإرهابي الهمجي والجبان.. لن يزيد أبناء الوطن الشرفاء، حماة التاريخ والجغرافية، وحراس القيم النبيلة، أهل المروءة والفضيلة والقيم إلا الثبات على المبادئ، والصمود، ومواجهة الظلاميين الجهلة داخل البلاد وخارجها.. لن يزيدهم هذا الفعل الوحشي الدموي.. إلا صموداً، وثباتاً، وعزة وتمسكاً بمستقبلهم الذي يبنونه بالمحبة والتآخي؛ وسينتصرون على كل من يريد بهم وبوطنهم شراً...

إن اتحاد الكتاب العرب والمثقفين الشرفاء أينما وجدوا يدينون بشدة الإرهاب الهمجي اللا أخلاقي، ويؤكدون أنه يأتي بعد هزيمة المجموعات المسلحة الضالعة في التآمر على وطننا وشعبنا؛ والمدعومة من أسيادها أعداء الحق والخير والجمال، وأعداء سيادة الدول والشعوب... ويشددون مرة بعد مرة على أن أعداء سورية أينما كانوا في الداخل والخارج لن يستطيعوا أن يكسروا إرادة شعبنا، وتمسكه بوحدة ترابه، وهويته العربية، وسيكون مصير القتلة ومؤججي الفتن وتجار الحروب والدماء نار جهنم وبئس المصير... وستبقى سورية قوية عزيزة والرحمة للشهداء الأبرار.

اتحاد الكتاب العرب

بيان عام بمناسبة إخلاء بيت البطراوي

كانت أمام السلطة الوطنية الفلسطينية، بكل مؤسساتها التي يمكن أن تسند الثقافة الوطنية، فرصة كبيرة كي تثبت أن الشأن الثقافي قائم في أولياتها، وأنها تستطيع أن تمد له يد العون، ولو في الحد الأدنى، الذي لا يعجزها. وكان أصحاب قرار في السلطة الوطنية الفلسطينية وعدوا بأن تمتد هذه اليد، وأن تحافظ على تراث واحد من أبرز من خدموا الثقافة والوطن في هذا العصر، وذلك من خلال المحافظة على منزل الأديب والمناضل الكبير الراحل محمد البطراوي، وعلى محتوياته الثمينة، وأن تحوله إلى مركز ثقافي، حتى يستمر في نشر الإشعاع الذي كان لساكنه، على الثقافة والسياسة، وكل الشؤون العامة، خلال نصف قرن من الزمان.

كان المثقفون في هذا الوطن، بكل اتجاهاتهم، قد ناشدوا السياسيين في هذا البلد، بكل اتجاهاتهم، أن يحولوا بين هذا البيت والمصير الذي ينتظره، حين يخلى من آثار من سكنوه، بقرار يستند إلى أوراق جامدة، لا يمكنها أن تشعر بروح المكان، التي يدافع عنها من يفهمونها، فيدافعون عنه، ويصرخون بمطالب، لم تكن مستحيلة، ولا كانت طاقة السلطة عاجزة عن تلبيتها، كما وعدت وتعهدت غير مرة. لكن الوعود جميعهً تبخرت مع قدرة الأوراق الجامدة على أن تمارس سطوتها في الإخلاء، كما يمكن أن تفعل مع أي بناء متآكل، لا قيمة له إلا بما فيه من حجر أو مساحة من تراب، من دون أن تعنيها الأرواح التي ستظل ترفرف في المكان، تنعي إلى الثقافة مصيره الكابوسي، وتسجل على من كانوا قادرين على تجنيبه هذا المصير، أنهم لم يفوا بما وعدوا.

إن القلب ليحزن على مصير الثقافة في وطن لم يبق صامداً فيه غير ثقافته، وليحزن حين يدرك أن الاهتمام بأية رموز ثقافية، على ندرة ذلك، يبقى بعيداً عن قيمة هذه الرموز، حين ينحاز إلى استثمار لمنافع لا علاقة لها بالثقافة، ولا بالرموز نفسها، وهي تتحول في بعض الأوقات إلى مادة للاستعراض، الذي قد يصل حدود التجارة.

كان يمكن للحفاظ على بيت البطراوي أن يسجل لمن يفعل ذلك حضوراً هو الذي يحفظ له في تاريخه، لأن الأثر الثقافي يبقى بعد أن تنتهي المماحكة السياسية، وغير السياسية. لكن الذي ثبت، مع التفريط بهذا البيت العزيز، هو ما كان ملموساً سلفاً: إن الثقافة لا مكان لها في واجهة تتعامل مع فضاء لا ملامح له بعيدٍ عن الواقع.

لكن تجارب الثقافة تؤكد أن كل ما هو زائل ووقتي سوف يمضي، وأنها العامل الأساس الذي يبقى، وأن ذاكرة الوطن لن تسقط ذكرى محمد البطراوي، حين تسقط غيره، ولا ذكرى البيت الذي كان ملاذاً لكل من آمن بقيمة الثقافة كعنصر ثابت، وخالد، في النضال الطويل لهذا الوطن. وما سيضاف إلى هذه الذكرى سيكون عنصراً جديداً يذكر كل من يأتي بأنه كان بالإمكان حماية البيت العزيز من غول الأوراق التي لا روح فيها، لكن التقصير ظل سيد الفعل، في هذا الزمن الذي يحاول أن يغيب الثقافة، ظاناً أن ذلك ممكن.

رحم الله محمد البطراوي، الذي لم يلتصق وجوده بروح البيت وحسب، ولكن نضاله كله، تصاعد منه، وعسى أن يغفر؛ حيث يوجد الآن، لمن وضعت فيهم الآمال، على سهولة تحقيقها، فخيبوها.

اتحاد الكتاب العرب
اتحاد الكتاب الفلسطينيين

ليس آخراً

غسان كامل ونوس

ما بين السادية والمازوشية!

لكأنّ ما تقاسي من ألم الفقدان، ووسواس التربّص، وقلق الترقب، والوقت الواخز، والخطو المشوك.. لا يكفي!

لكأنّ مشاهد التقطيع والتعليق والتنكيل، وحكايا التهجير والخطف والسمسرة حتّى على الجثامين، والأخبار المعذِّبة عن المغيّبين، والمساعي الحائرة، والآمال المستنفدة.. لا تشفي الغليل!

ولا التعطيل والإعثار والإفقار والإبطال..!

أو أنّ مناظر التدمير والتخريب، والمداخل المنفّرة، والممرات الموحشة، والمنافذ المقتّرة، وامتداد القفر والأرض اليباب.. لا تشبع ولا..

ولا تكفي السهام في العين، والنصال في الصدر، والنبال في الخاصرة، والحراب في الظهر؛ ولا يكفي الضجيج المضلِّل، والصراخ المضيِّع للأنين، والدعاوى المشوّهة للدّعاء..

لا تكفي المواجهات المباشرة، والآفاق المحاصَرة، والفواجع والمواجع..

ولا يتورّع ناكرو الأخوّة الجاحدون، وأعداء الخارج بكل ما لديهم من خبث وحقد وأطماع، عن إدخال الجحيم إلى البلد الآمن الوفيّ الحافظ العهد، عبر حملات الدسّ والتحريض والتفتيت والتسليح، في السر والعلن، بالتلميح والتصريح..

ولم تخفّ الحملات الوحشية، ولم ترتوِ الكائنات السادية من معاناة الشعب الصابر، ولا من مراراته وخيباته.. ليولغوا في الدم السوري أكثر، ويوغلوا في الغيّ أكثر فأكثر!

كأنّ هذا، كلّ هذا لا يكفي، حتى تتهافت المخارز المصقولة والصدئة على النفس، وتنشط الشفرات الحادة والمثلّمة في الذات، تقريعاً وتجريحاً..

ما من أحد بلا خطيئة، وما من أحد يستطيع أن يدّعي المنعة الخالصة، إذا ما كان يعمل! والاعتراف بالأخطاء، فضلاً عن أنه فضيلة؛ فهو ضروري لدراستها أسباباً وظروفاً وعوامل، وسبيل أساسيّ لتجاوزها؛ وهو هام لبناء أكثر سلامة وجدوى. ومن المطلوب الاستماع إلى من أشار ويشير إلى أوجه القصور، ومظاهر التقصير، حتى لو بالغَ واستشاط..

ولكنّ التوقف عند أخطاء كانت، لا يعني الوقوف عليها، وتضخيمها وتحويلها إلى هزائم قادمة، ومراجعة السلبيات لا تستوجب تكريسها بالقول والتأكيد والتذكير والتبكيت.. لتصبح أخاديد وحفراً يستعصي عبورها، وتشوهات تترك آثارها على أي وجه أو مَعلَم أو رؤيا.. ويغدو أمر الحديث عن العثرات صاخباً وصارخاً، ليغيّب إمكانية الإصلاح، ويشوّش على عمليات التقدم الممكنة دائماً بالإرادة والتفهم والوعي.

ومن المؤسف أن يعلو الصوت الراثي والوقع النادب على النبض الواثق والإيقاع المحفّز؛ لأنّ المخطط له تعميم الإحباط وتوسيع الثغرات، لمفاقمة الوهن واستكمال السقوط؛ فهل ننجرّ إلى ذلك بكامل مقدّراتنا، التي ما يزال الجزء الأساس منها قابلاً للحياة دفاعاً وترميماً وتطوراً مأمولاً ومرتجى ومنتظراً؟!

وما ذا نربح إذا ما كان تفكيرنا متوقفاً عند ما كان؟! وأقدارنا مرتهنة، ومصائرنا مربوطة بعقد كانت وما تزال.. ربما؟!

وماذا نستفيد إذا ما كان الحديث في عورات الماضي مطفئاً لإضاءات تنتثر، وأضواء تشع حتى من احتراقنا الزكي؟!

ومن المؤسي أن مثل ذلك الحديث المجرّح غدا عنواناً للجدارة والموضوعية والمسؤولية؛ ويستطرد به حتى يقض الموائل، ويسوّس المفاصل، ويفسد الممرات، ويضيّق الأنفاس، ويعوّم الكارثة؛ فيأتي على مقومات الصمود ومشروعية البقاء!

وصار الواحد منّا يتوسّل الاستماع إليه بالنّيل من كيانه الشخصي، ويتطلع إلى ملامح رضا من مجالسيه بكيل التّهم إلى زمنه ومعاصريه ومناصريه، وتعريتهم وتهشيمهم، وهو منهم، ويتحاشى تناول ما يجري من جرائم منظمة، وفواحش وسلوكات مريبة ومرفوضة.. كيلا يزعج المعارضين العابسين، وليمالئ القادرين على السير بين الأنقاض وفوق الأشلاء خبط عشواء..

نعم؛ من المفجع أن مثل ذلك التبخيس والتيئيس والتشييع للذات والآخرين، المؤسسات والمجتمع، الحاضر والآتي.. لازمة ومتناً وخاتمة!

ليس هذا هو الحلّ؛ فالذات المخزّمة ما زال يؤلمها التجريح، والنفس المأزومة يضنيها التضبيب والإسدال؛ لأنّ الإنسان فينا لم يمت، لن يموت! والحاجة ماسة إلى نفض الشحار والغبار، وتجفيف السوائل النازفة؛ وهناك كائنات تنهض، وترنو، وتأمل، ولديها ما هو جدير بأن يظهر، وأن يستفيد من خطا سديدة، وإن تعثّر بعضها، وسبلٍ صحيحة السمت، حتى لو تعرّج المسار قليلاً؛ فلا السادية تميت، ولا المازوشية تنقذ؛

السادية مرض مستفحل، لا نستطيع معالجة المتورطين به ومتبنّيه، ونسعى لمواجهة أذيّتهم؛ والمازوشية مرض يُستسهل، فلا يمكن أن نترك آثاره تستكمل طريق النصل أو الطلقة، ليتعمّق الجرح أكثر فأكثر، أو توزّع نفثات إحباطاته في الأعضاء السليمة لتشلّها، وهذا الأمر بيدنا وبوعينا وبإرادتنا وبثقتنا؛ ولا بأس بالنقد والتفقد والتفكّر والتبصّر؛ بل لا بدّ منها، ولا بدّ من متابعة السير الواثق، والخطو المحسوب..

***

ghassan.wannous@gmail.com
www.ghassan.wannous.com

الأسبوع الأدبي
جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
أسست وصدرت ابتداءً من عام 1986

المدير المسؤول: د.حسين جمعة
رئيس اتحاد الكتاب العرب

رئيس التحرير: غسان كامل ونوس

مدير التحرير: عياد عيد

المدير الفني: نضال فهيم عيسى

هيئة التحرير:
إسماعيل الملحم - د. حمدي موصللي - زهير هدلة
-د. عادل فريجات - مريم خيربك